الباب الأول

الحقبة الفرعونية

وعصر البطالمة والرومان

الفصل التمهيدى

١ ـ ظهور الحضارة المصرية القديمة

السؤال الذى يتبادر إلى الذهن دائمًا ، والذى يواجه الدارس للتاريخ المصرى القديم هو : لماذا ظهرتْ الحضارة فى مصر مبكرًا ؟ ولماذا سبقتْ مصر الآخرين فى إنشاء حضارة رائدة ، ومُعلِّمة ؟

وللإجابة على هذين السؤالين يجب أن نعرف أن الحضارة لا تبدأ من فراغ ، أو نتيجة للصدفة ، ولكن لابدّ من توافر عناصر عديدة تساعد على قيام هذه الحضارة . وتتمثل هذه العوامل فى عوامل طبيعية، وعوامل بشرية. وهناك علاقة متلازمة بينهما. فلا يمكن لأىٍّ عنصر أنْ يعمل بمفرده ، دون مشاركة بقية العناصر .

وقد توافرتْ فى مصر عناصر صُنْع الحضارة بنوعيها ، ولو استعرضنا أولاً العناصر الطبيعية سنجد أن نهر النيل يأتى على رأس هذه العناصر ، فقد ساهم النهر فى تكوين ، ووضع بذرة الحضارة عن طريق تخصيبه للتربة . كما شاهد بواكير ظهور هذه الحضارة سنة ٥٠٠٠ ق.م .

وقد عرف المصريون القدماء أهمية نهر النيل ، ولذلك اعتبروه مركزًا للعالم ، وعرفوا منابعه الجنوبية ، ولذلك كان للجنوب أهمية ، حيث كان نقطة توجههم [١]، بل اعتبروا الجنوب هو بداية العالم . ولذلك سمى المصريون النيل (حابى) (Hapi) . كما كانوا يسمونه (أترو – عا)[٢] .

---

(١) جورج بوزنر وآخرون : معجم الحضارة المصرية ، ترجمة : أمين سلامة ، الهيئة العامة للكتاب ، مشروع مكتبة الأسرة ، ١٩٩٦م . ص ٣٤٥ .

(٢) من هذه الكلمة جاءت كلمة ترعة ، والتى تطلق على القنوات التى تُحفر بجوار النيل لنقل المياه للأراضى البعيدة عن النهر .

وقد علَّم النيل المصريين أصول الزراعة مما ساعد على الاستقرار وبالتالى بناء الحضارة ، كما أن عملية التحكم فى ضبط النهر ، وتوزيع مياهه بالعدل احتاجت بالضرورة لقيام حكومة مركزية تستطيع أن تمسك بزمام الأمور .

ومن هنا ظهرت أول حكومة مركزية فى الجنوب ، كما أن النيل ساعد على اتصال الشمال بالجنوب ، مما ساعد على تبادل المحاصيل والمنتجات ، وربط بين أنحاء الوادى ، فالرياح الشمالية كانت تدفع السفن تجاه الجنوب . أما حركة التيار والتى تبدأ من الجنوب فكانت تدفع بالسفن تجاه الشمال .

ومن العوامل التى كان لها الأثر الأكبر فى ظهور الحضارة المصرية القديمة ، الموقع فموقع مصر جعلها من دول الوسط ، وليست دولة أطراف . وللموقع المتوسط عدة مميزات ، حيث إنه يكون محميًّا من جميع الجهات ، فوجود الصحراء الشرقية والصحراء الغربية كان حماية للمصريين من الغزو الأجنبى إلا فى بعض الفترات القليلة والتى تعرضت فيها مصر لغزو الهكسوس ، والأشوريين ، والفرس . كما أن الموقع المتوسط يجعل الاتصال بين الدولة وجيرانها سهلاً وهو ما توافر فى مصر[1] .

أما العامل الثالث ، والذى ساعد على ظهور الحضارة المصرية فهو المناخ ، حيث يتميز المناخ المصرى باعتداله بصفة عامة ، وبُعْده عن التطرف فدرجة الحرارة معتدلة معظم العام ، كما أن الجو بصفة عامة يميل للجفاف مما جعل المصريين يعتمدون على النهر فى توفير احتياجاتهم من المياه للرى أو الزراعة .

كما أن وجود الثروة المعدنية ، والتى تتوافر بكثرة . فقد وفرت مادة خام أحسن المصرى استخدامها لصنع الآلات التى يحتاجها ، فقد عرف المصرى الحديد ، والنحاس والبرونز . ولذلك دخلت مصر فى عهد استخدام المعادن مبكرًا .

(١) يونان لبيب رزق : قراءات تاريخية على هامش حرب الخليج ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، ص ٨ .

وقبل أن نختتم الحديث عن عناصر قيام الحضارة المصرية ، لا يمكن بالضرورة إغفال دور الإنسان المصرى ، صانع هذه الحضارة ، فقد أحسن استغلال كلِّ المقومات الطبيعية والتى توافرت له ، واستطاع التأقلم مع البيئة ، فقد بدأ صيادًا ، ثم أصبح مزارعًا ، ثم أصبح مبتكرًا للحضارة .

وهكذا تناغمتْ العوامل الطبيعية مع العوامل البشرية فى صناعة الحضارة الفرعونية ، والتى شغلت العالم بفكرها ، وإنتاجها الحضارى ، ولذلك أصبحتْ فى المقام الأول حضارة إنسانية مُعلِّمة للجميع .

٢ ـ مصادر دراسة التاريخ المصرى القديم

تتنوع مصادر التاريخ المصرى القديم ، ما بين مصادر تركها المصريون منقوشة على جدران المعابد وورق البردى ، وما بين كتابات مؤرخين قدامى ، سواء كانوا يونانيين أو مصريين .

فالمصادر المنقوشة على جدران المعابد ، وورق البردى توضح أسماء الملوك ، وأهم أعمالهم ، والمراسيم التى أصدروها . ومن أشهر هذه الأعمال :

١ ـ قائمة الكرنك :

تعود هذه القائمة فى تاريخها إلى عهد (تحتمس الثالث) وموجودة فى إحدى قاعات المعبد ، والذى يسمى قاعة الأعياد . والقائمة مكتوبة فى إحدى الحجرات التى تسمى قاعة الأجداد[1] .

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، الهيئة العامة للكتاب (مشروع مكتبة الأسرة) ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، جـ ١ ص ١٥٨ .

٢ ـ قائمة العرابة المدفونة :

موجودة فى معبد سيتى بمنطقة العرابة المدفونة ، وهى تذكر أهم ملوك الفراعنة منذ عهد مينا ، وكان الغرض من ذكر هذه القائمة هو رغبة سيتى فى تخليد ذكرى مَنْ سبقوه[١] .

٣ ـ قائمة سقارة :

وُجدت هذه القائمة فى قبر (تونورى) وكان يعمل كاتبًا للملك ، وتبدأ هذه القائمة بذكر الملك الخامس بعد مينا والذى يُسمى (مربابا) .

٤ ـ ورقة تورين :

هى ورقة بردى تعود إلى عصر الأسرة التاسعة عشر ، وتمتاز بأن الملوك الذين ذُكِروا فيها . قد وضحت مدة حكمهم بالأيام ، والشهور ، والسنين ، كما أنها تذكر الملوك الغير مشهورين[٢] .

٥ ـ حجر بالرمو :

هو جزء من مجموعة لوحات كُتبت على الحجر ، وكانت تُنصب فى المعابد ، ويعود تاريخ الحجر إلى عهد الأسرة الخامسة .

١ ـ مانيتون والكتابة عن مصر :

أما عن المصادر والتى كتبها المؤرخون فيأتى على رأس هؤلاء المؤرخ المصرى مانيتون السمنودى . وكان يعمل كاهنًا وكاتبًا . وقد قام بكتابة تاريخه بتكليف من بطليموس الثانى . وقد قام بتقسيم مصر إلى ثلاثين أسرة . ولكن للأسف فُقِد هذا الكتاب . والجزء الذى وصل منه كان عن طريق المؤرخ اليهودى جوزيف المولود فى عام ٣٧ ميلادية[٣] .

---

(١) سليم حسن : مرجع سبق ذكره ، جـ ١ ص ١٥٩ .

(٢) المرجع السابق ، جـ ١ ص ١٦٠ .

(٣) سيرو . م فلندرز : الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة ، ترجمة : حسن محمد جوهر وآخرون ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ، ١٩٧٥م . ص ٧، ٨ .

٢ ـ هيكاته :

كما اشتُهر أيضًا من المؤرخين هيكاته الذى عاش حوالى ٥٥٠ ق. م. وزار طيبة والتقى مع الكهنة . وكان الهدف من زيارته وضع شجرة لأنساب ملوك ليبيا .

٣ ـ هيردوت :

ومن المؤرخين المشهورين (هيردوت)[١] . زار الدلتا ، واستقر فى مدينة منف ، ثم قام بالزيارة للصعيد ، ووصل حتى جزيرة (ألفنتين) وفى عودته من الصعيد زار الفيوم ، والدلتا ، ثم زار مدينة السويس . وقد وصف فى كتابه الحياة الاجتماعية فى مصر ، كما وصف الآثار المصرية كما رآها[٢] .

٤ ـ ديودور الصقلى :

أما المؤرخ الذى وصل كتابه كاملاً ، فقد كان ديودور الصقلى ، زار وادى النيل فى عام ٦٠ ق. م. ويميل فى كتابه إلى الآراء الفلسفية والدينية[٣] .

٥ ـ استرابون :

كما يعتبر من المصادر التاريخية كتاب استرابون الذى زار مصر فى عام ٢٧م ، ووصل إلى الشلال الأول ، ولكنه لم يكُنْ أمينًا ، حيث نسب معظم مشاهدات القدامى على أنه قد شاهدها[٤] .

---

(١) هيرودوت : مؤرخ يونانى ، ومعنى اسمه هيرو (مقدس) دوت (عطية) فيصبح الاسم معناه باللغة العربية العطية المقدسة ، وهو مؤرخ يخلط كثيرًا من الحقائق التاريخية بالأساطير .

(٢) هيرودوت يتحدث عن مصر .

(٣) سليم حسن : نفس المرجع ، جـ ١ . ص ١٦٤ .

(٤) المرجع السابق ، نفس الجزء . ص ١٦٥ .

٦ ـ بلوتارخ :

ويتبقى لنا من المؤرخين المؤرخ الرومانى (بلوتارخ) فقد كتب عن مصر عام ١٢٠ ميلادية . واهتم أكثر بقصة - إيزيس وأزوريس - وتعتبر كتاباته من الكتابات الدقيقة[١] .

٣ ـ بواكير الحضارة المصرية

ينقسم التاريخ المصرى طبقًا لتدوينه إلى عصرين، وهى عصور ما قبل التاريخ، وهى قبل معرفة الإنسان القراءة والكتابة ، وقد امتدت هذه العصور منذ ظهور الإنسان فى وادى النيل ، حتى بداية عهد الأسرة الأولى فى عام ٣٢٠٠ ق. م.

والعصر الثانى هى العصور التاريخية ، والتى بدأ يتعلم فيها الإنسان القراءة والكتابة ويُدوِّن أعماله على الكهوف والمبانى ، مما وفر مادة تاريخية يمكن منها كتابة تاريخ الإنسان . وسنحاول التحدث عن كل عصر من هذه العصور .

أولاً : عصور ما قبل التاريخ :

تنقسم هذه العصور الطويلة إلى العديد من الأقسام ، وهى العصر الأول وما يُسمَّى العصر قبل الحجرى (الأيوليثى) ، والعصر الثانى يسمى العصر الحجرى القديم (الباليوليثى) وهو العصر الذى استخدم فيه الحجر المهذب . والعصر الثالث هو عصر استخدام المعادن . وفيما يلى تفصيل لهذه العصور :

(أ) العصر ما قبل الحجرى (الأيوليثى) :

استخدمت فى هذا العصر ، الأدوات المصنوعة من أحجار الظران ، وهى أحجار تعود إلى العصر الثالث الجيولوجى ، وقد تعرضت لمؤثرات مناخية أدَّتْ إلى تفتتها ، وقد حاول أن يُهذِّبها الإنسان الأول ، وقد وُجِدَتْ منها قطع كثيرة[٢] .

---

(١) سليم حسن : مرجع سبق ذكره ، ص ١٦٥ .

(٢) المرجع السابق ، جـ ١ ص ١٦ . وانظر سير فلندرز : نفس المرجع ، ص ٨ .

(ب) العصر الحجرى :

ينقسم هذا العصر إلى ثلاثة عصور ، وهى : العصر الحجرى الأسفل ، والعصر الحجرى القديم المتوسط ، والعصر الحجرى الأعلى . وقد تميَّز العصر الحجرى الأسفل بمناخ أشبه بمناخ المناطق الاستوائية[1] ، ولكنه يميل إلى البرودة قليلاً . وكان الإنسان يعيش فى الكهوف، ويعتمد فى غذائه على حرفة الصيد ، وجمع والتقاط الثمار[2].

أما بالنسبة للعصر الحجرى المتوسط ، وفيه بدأ الإنسان يصنع أسلحة مثلثة الشكل من الظران ، كما عاش فى الكهوف ، وعمل بالصيد .. وقد انتشر الجليد فى أنحاء أوربا فى هذا العصر .

ويتبقى لنا الحديث عن العصر الحجرى الأعلى .. وقد بدأ المناخ يتغير فى هذا العصر فبدأت الأمطار تقل فى غزارتها . وقد تنوعت آلات الإنسان ، وتميزت بالدقة.

(جـ) عصر استخدام المعادن :

يمكن أيضًا تقسيم هذا العصر ، إلى قسمين وهما : العصر الحجرى الحديث ، وعصر استخدام المعادن . وقد بدأ العصر الحجرى الحديث مع تقهقر الجليد ، وسيادة الجفاف فى معظم منطقة شمال أفريقيا ، وكنتيجة لموجة الجفاف هذه بدأ الإنسان يهجر الصحراء ، بعد أنْ ذبلت النباتات ، ويتجه إلى الوادى الممتلىء بالمياه . وبدأ يتعلم الزراعة[3] .

وقد نشأتْ العديد من القرى مثل قرية العمرى ، ومرمدة بنى سلامة وكوم أوشيم فى الفيوم. ودير الطاسا، كما وُجدت مدافن بجوار القرى على حافة الصحراء.

وقد تقدَّمت الصناعة تقدمًا كبيرًا فى هذا العصر ، وظهرت صناعة الفخار ، والذى عثر عليه بكثرة فى مرمدة بنى سلامة . وقد سُجِّل هذا الفخار على شكل

---

(١) المناخ الاستوائى : يتميز بشدة الحرارة ، والمطر تصاعدى غزير ويستمر طول العام .

(٢) سليم حسن : المرجع السابق . ص ١٧ .

(٣) جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية القديمة ص ٢٢٩ .

أطباق ، وأكواب ، وجرار ، وأباريق . كما صُنعت أدوات من العظام تميزت بالدقة ، وظهرت أيضًا الفأس المصقولة .

وقد عاش الإنسان فى منازل مبنية من البوص ، ومثبتة بأوتاد فى الأرض ، كما زودت بصوامع لحفظ الغلال ، وكانت هذه العشش تُفرش بالحصير ، وقد زُودت هذه العشش بمواقد لطهوِ الطعام ، وكانت تُسقف بالبوص بطريقة أفقية ، والحوائط تُدهَنُ بطمى النيل .

أما عصر استخدام المعادن ، فقد بدأ الإنسان يعرف استخدام المعادن مثل النحاس والذهب فى صناعة الآلات ، وقد استخدم معدن البرونز على نطاق واسع .

وقد ظهرتْ حضارة فى عصر المعادن سُميت بحضارة البدارى[1] ، وحضارة نقادة[2] . وفى حضارة البدارى بدأ الإنسان يعرف شكل البناء المستطيل بدلاً من المستدير ، كما أن الأكواخ استُخدم فى إنشائها الطين المعجون ، والمقابر كانت على شكل حفر بيضاوية الشكل ، وكان الميت يُكفَّن فى حصير ، أو جلد ماعز . ثم تغطى المقبرة بالأعشاب ، كما كانت تسند رأس الميت على وسادة ، أما فى عهد حضارة نقادة فقد أصبحت المقابر شكلها مستطيل .

كما تقدمتْ فى عصر استخدام المعادن ، صناعة الفخار والذى أصبح يُزيَّن بالرسوم والنقوش ، والتى كانت تحتوى على رسومات لأشجار وحيوانات وخصوصًا صور فرس النهر ، والطيور ، والأسماك .

وقد تقدم الفن فى هذا العصر فظهرت الأمشاط المصنوعة من العاج ، وكان هذا العصر قد شهد تقدمًا فى فن النحت الغائر على العاج ، وكانت النقوش التى تُنقش عليه هى نفس النقوش التى نُقشتْ على الفخار .

---

(١) البدارى : إحدى مراكز محافظة أسيوط .

(٢) نقادة : مدينة غرب النيل فى محافظة قنا .

الفصل الأول

العصور التاريخية لمصر

(التطور السياسى فى مصر القديمة)

بعد تكوين القرى أصبحت هذه القرى تتجمع فى وحدة مُكونة المدن ، ومن مجموعة المدن ظهرت الأقاليم ، وكان كل إقليم يسمى (سبات) ومعناها القسم . وكانت البلاد تُقسم إلى أربعة أقاليم رئيسية وهى : النحلة ، والبوصة ، والثعبان ، والنسر . ثم حدث اتحاد بين النحلة والبوصة وكونت مملكة . ومن الثعبان والنسر كونت مملكة أُخرى. كما تكونت مملكة جديدة فى الوجه القبلى تسمى مملكة (الصقر).

محاولات توحيد مصر :

وقد اتحدت ممالك الوجه البحرى فى مملكتين ، وهما الأولى فى الغرب ، وعاصمتها بحدت بالقرب من مدينة دمنهور . والمملكة الثانية فى الشرق وعاصمتها بوصير ، ثم اندمجت هاتان المملكتان فى مملكة واحدة كانت عاصمتها مدينة بحدت . ثم قامت هذه المملكة بغزو الوجه القبلى ووحدت القطرين فى مملكة واحدة ، ولكن هذه الوحدة لم تستمر طويلاً ، حيث ثار أهل الصعيد بزعامة مدينة (نقادة) .

ثم جرت محاولة أخرى عندما قامت مملكة حور فى الشمال ، بإخضاع مملكة ست فى الجنوب ، واتخذوا عاصمة جديدة فى مدينة (أون) وهى عين شمس الحالية عام ٤٢٤١ ق. م ثم ضعفت هذه المملكة وانقسمت البلاد مرة ثانية إلى مملكتين ، وهما مملكة الوجه البحرى ، وعاصمتها مدينة بوتو ، والمعروفة بتل الفراعين ، بالقرب من مدينة دسوق الحالية . والمملكة الأخرى هى مملكة الوجه القبلى ، وكانت عاصمتها مدينة (نخب) وتسمى الآن قرية الكوم الأحمر فى غرب النيل ، وتواجه مدينة إدفو .

وقد كان شعار مملكة الوجه البحرى هو نبات البردى ، والذى ينمو بكثرة فى الدلتا ، أما الملك فكان يلبس تاجًا لونه أحمر . أما مملكة الوجه القبلى فكان شعارها زهرة اللوتس . ويرتدى الملك تاجًا لونه أبيض . أما معبودات مملكة الشمال فكان ثعبان الصل . ومملكة الجنوب أنثى النسر . وظلت المملكتان فترة كبيرة حتى تَمَّ توحيدهما على يد الملك مينا (نارمر) فى عام ٣٢٠٠ق.م .

أصل كلمة مصر وسكانها :

كانت مصر تسمى قديمًا بلفظ (كمى) ومعناها الأرض السوداء ، نظرًا لخصوبة الأرض نتيجة الطمى الأسود الذى كان يفيض به النيل . أما الصحراء الشرقية والغربية فكانت تُسمى (تا – رشر) . كما كان من أسماء مصر (حا – كا – بتاح) ومعناها : روح بتاح ، والذى كان يُعبد فى مدينة منف . وقد أضاف اليونانيون حرف السين للفظ كمى وأصبحت تنطق كيبتوس ، والتى حُوِّرت بعد ذلك إلى جيبتوس ، إيجبتو ، والآن تسمى إيجيبت . أما العرب فأطلقوا عليها لقب القبط ، واشتق الاسم أيضًا من كيبتوس .

أما سكان مصر فيعودون إلى عناصر حاميَّة (نسبة إلى حام بن نوح) مثل السائدة فى بلاد الشمال الإفريقى ، والصومال . وعناصر آسيوية . والسلالة الرئيسية لقدماء المصريين هى سلالة البحر المتوسط ، ويتميز بالرأس المستطيلة ، والقامة المتوسطة ، والتى تميل إلى النحافة . أما لون البشرة فيميل إلى الأسمر قليلاً . أما السلالة الأخرى فهى السلالة الجيزاوية وهى من العناصر الآسيوية . ويتميز بالقامة القصيرة المكتنزة ، والرأس المفلطحة وتميل القامة للقصر .

وقد دخلت السلالة الجيزاوية [1] إلى مصر عبر شبه جزيرة سيناء ، وهذا رأى يشير إلى أن القادمين كانوا قد أتوا من سوريا ، أما أصحاب الرأى الذى يرى أنهم أتوا من شبه الجزيرة العربية ، فيقولون : إنهم دخلوا مصر عن طريق البحر الأحمر ، ومدينة قفط فى الصعيد .

(١) سُميت هذه السلالة بهذا الاسم لأنها نزلت فى منطقة الجيزة .

وقد اندمج العنصر الآسيوى بالمصريين ، وقد حاول الكثير إثبات أفضلية عنصر عن الآخر فى صياغة الحضارة المصرية ، ولكن يبدو أن العنصر الإفريقى الحامى ، والعنصر الآسيوى الوافد قد أفادا بعضهما البعض فى صناعة الحضارة .

١ - عصر الأُسْرات

١ ـ العصر العتيق :

يبدأ هذا العصر عندما حكم مينا البلاد، وقد اختُلف فى تاريخ تولية مينا الحكم. فمنهم من يقول : إنه تولى الحكم فى عام ٤٣٢٦ ق. م ، ومنهم من قال : فى عام ٥٠٠٠ ق.م. ولكن الرأى المتفق عليه أنه تولى الحكم فى عام ٣٢٠٠ ق. م . وقد استطاع مينا توحيد البلاد فى مملكة موحدة وسمَّى نفسه (صاحب الأرضين) وسيد نسر الجنوب ، وثعبان الشمال . كما كان يلبس تاجين رمزًا للمملكتين[١] .

وقد أسس مينا عاصمة جديدة هى مدينة (من – نفر) ، والتى حوَّر اليونانيون اسمها إلى ممفيس ، وسماها العرب منف ، وتقع الآن فى قرية ميت رهينة بالجيزة . ومعنى الاسم قلعة الجدار الأبيض . والسبب فى اختيار موقع هذه المدينة هو توسطها بين الدلتا والصعيد ، وكانت هذه المدينة بمثابة قلعة فقط ، ولم تُتخذ عاصمة إلا فى عهد ملوك الدولة القديمة[٢] .

وقد استطاع مينا تأسيس حكومة قوية ، استطاع أن يمسك بها زمام الأمور ، وكانت ملامح هذا النظام هى مركزية الحكم ، حيث كان يجمع الملك فى يده كلَّ السلطات ، كما كان من ملامحه أيضًا استخدام سلطة التفويض ، حيث كان الملك يُفوض سلطاته لكبار موظفيه ، كما كان الحكم وراثيًا . وكان مقر الحكم هو مدينة (نخب) . وليست مدينة منف كما يعتقد الجميع[٣] .

---

(١) سليم حسن : نفس المرجع ، جـ ١ ص ٢٦٩، ٢٧٠ . وانظر سيرج سوفرون وآخرون : معجم الحضارة المصرية ص ٣٢٨ .

(٢) جورج بوزنر : المرجع السابق . ص ٣٢١ .

(٣) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ١ ص ٢٦٨ .

وقد تولى الحكم بعد مينا (خنت) . وقد تقدم الفن المصرى فى عهده تقدمًا كبيرًا ، وقد قام بكتابة سِفْر كبير فى علم التشريح[١] .

ثم حكم من بعده الملك (زت) والمعروف باسم الملك الثعبان ، وتوجد لوحة محفوظة باسمه فى متحف اللوفر فى باريس ، وقد أرسل عدة حملات لتأديب البدو فى منطقة البحر الأحمر ، كما قام باستغلال المحاجر والمناجم الشرقية[٢] .

ومن الملوك المشهورين أيضًا الملك (ودمو) . ومن أشهر أعماله القيام بحملة ضد البدو فى سيناء لمُعاقبتهم على هجوم على منطقة الدلتا ، كما قام بتنظيم مياه النيل ، فى منطقة الفيوم ، ونشَّط التجارة الخارجية ، وبلغت مدة حكمه ثلاثين عامًا . ودُفِن فى مقبرة العرابة المدفونة[٣] .

٢ ـ ملوك الأسرة الثانية :

أول مَنْ تولى الحكم من ملوك الأسرة الثانية هو الملك (حتب سخموى) . وفى عهده حدث زلزال فى منطقة تل بسطا ، وقد عُثِر له على تمثال يمثله ، وعلى كتفه ثلاثة ملوك .

وبعد وفاة الملكِ (حتب سخموى) تولى الحكم الملك (نب – رع) . وهو أول مَن اتخذ عبادة العجل أبيس[٤] فى مدينة منت . والعجل منفيس فى عين شمس .

---

(١) سليم حسن : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٦٩ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٧٠ .

(٣) العرابة المدفونة إحدى قرى مركز البلينا ، محافظة سوهاج .

(٤) أبيس : هى عبادة الثيران ، وكانت ترمز للخصوبة ، وكان يُصوَّر على هيئة ثور يحمل بين قرنيه قرص الشمس ، وكان موت أبيس له أهمية كبرى ، فيدفن فى جنازة رسمية ، وتُرسل له الهدايا . وبعد ذلك يبدأ الكهنة فى البحث عن عجل جديد وعلاماته هى : بقعة سوداء فى الجبهة ، وعلى الرقبة ، وعلى الظهر ، وعندما يتم إيجاده يحبس فى حظيرة مقدسة فى مدينة منف – انظر سيرج منورنت : معجم الحضارة المصرية القديمة . ص ١٠ . وانظر أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة ، ترجمة : عبد المنعم أبو بكر وآخرين ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ١٩٩٧م . ص ١١ .

وعبادة الكبش فى منديس ، ويبدو أنه أعاد تقديس عبادة الحيوانات إلى البلاد مرة ثانية بعد أن سادت فترة من الزمن[١] .

ثم تولَّى الملك (نتر – إن) . وقد حكم البلاد لمدة خمسة وثلاثين عامًا ، ويُعتبر هذا الملك أول من أعطى المرأة حق تولِّى الحكم .وقد ذُكِر اسمه على حجر بالرمو[٢].

٢ - عصر الدولة القديمة
(٢٨٠٠ - ٢٢٠٠ ق. م)
(الأسرات ٣ : ٦)

يُطلق المؤرخون على هذا العصر اسم (شباب مصر القديمة) حيث شهدتْ البلادُ رواجًا اقتصاديًا ، وازدهرتْ الحضارة المصرية فيه ، ويُسمى أيضًا عصر بُناة الأهرام . كما شهد هذا العصر انضباط الحدود المصرية ، والضرب بشدة على يد البدو الذين كانوا يُغيرون على مصر ، ومن أشهر ملوك هذا العصر :

١ ـ الملك (زوسر) :

مؤسس الأسرة الثالثة .. وقد بلغتْ مدة حكمه حوالى تسعة وعشرين عامًا ، ومن أشهر أعماله بناء هرم زوسر المدرج ، والذى بناه الحكيم (أمحوتب)[٣] . كما بنى الملك أيضًا مقبرة فى العرابة المدفونة ، وتقع الآن فى منطقة بيت خلاف . والمقبرة الثانية هى هرم زوسر ، وكان السبب فى بناء مقبرتين . أن المقبرة الأولى تمثله كملك للوجه القبلى ، والمقبرة الثانية بصفته ملكًا للوجه البحرى .

ومن أشهر أعمال زوسر إرسال حملات للسيطرة على مناجم سيناء ، وقيامه بالتوغل فى النوبة حتى الشلال الثانى ، كما فتح إقليم (دودبكاشين) .

---

(١) سليم حسن : نفس المرجع . ص ٢٧٥ .

(٢) المرجع السابق . ص ٢٧٦ .

(٣) أبامحوتب : عمل مستشارًا للملك زوسر ، ويعتبر أول من أدخل البناء الحجرى فى مصر ، وقد اشتهر بالطب ، وقد عُبِد فى العصور المتأخرة .

٢ ـ الملك (سانخت) :

يُعتبر تاريخ هذا الملك مجهولاً ، وكل ما تبقى من آثاره بناء مقبرة فى منطقة بيت خلاف بجوار قبر زوسر ، وقد وُجِد اسمه منقوشًا على صخور وادى المغارة فى شبه جزيرة سيناء ، ولكن لم يُعثر له على مقبرة فى منطقة سقارة ، وقد تولى الحكم من بعده ملكان غير مشهورين وهما (حابا) و (نفر - كا)[١] ولكن لم تسجل لهم أعمال[٢] .

٣ ـ الملك (حو) :

يعتبر آخر ملوك الأسرة الثالثة . وقد بنى هرمًا فى منطقة دهشور فى جنوب سقارة، ويُعتبر هو السلف المباشر للفرعون سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة[٣] .

الأسرة الرابعة

١ ـ الملك (سنفرو) :

هو زوج الملكة (حتب - حرس) وقد أنجب منها الملك خوفو ، وينتمى بالنسب للملك زوسر . وقد بنى لنفسه هرمين : الأول فى منطقة دهشور جنوب سقارة . والثانى فى ميدوم شمال الفيوم[٤] .

وقد قام سنفرو بإرسال حملة بحرية إلى شواطئ سوريا لإحضار الأخشاب اللازمة لصناعة السفن ، وذلك لعدم توافر مثل هذا النوع فى مصر ، وعدم وجود غابات فى مصر[٥] .

وقد وضع سنفرو قواعد للحكم ، وابتدع طقوسًا خاصة به ، مثل قيام المواطنين بالركوع بين يديه ، وتقبيل التراب . كما اعتبر بمثابة قديس ، ولذلك كان قبره مُقدَّسًا

---

(١) نفركا : معناها الروح الجميلة .

(٢) سليم حسن : مصر القديمة . جـ ١ ص ٢٨٢ .

(٣) المرجع السابق ، جـ١ ، نفس الصفحة .

(٤) سيرج سوفرون : معجم الحضارة المصرية . ص ١٩٢ .

(٥) المرجع السابق . ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

كما يُقدس أى محراب . وحتى أتباعه ، وخدمه كانوا يُدفنون بجواره على أساس أنهم سيقدمون له الخدمة بعد مماته ، كما كان يقوم بمقام الكاهن الأعظم فى كل المعابد ، وفى كل الطقوس الدينية[١] .

وقد وضع نظمًا إدارية ، حيث قام بتقسيم مصر إلى مقاطعات ، وكان عددها فى الوجه القبلى اثنتين وعشرين مقاطعة تمتد من الشلال الأول إلى مدينة منف . وعشرين مقاطعة شملها الوجه البحرى . وكان يُعيِّن على كل مقاطعة نائبًا له يُعرف باسم (الأول بعد الملك) وكانت له كل الصلاحيات فى المقاطعة التى يحكمها . ويعاونه فى ذلك مجموعة من الموظفين ، وتشمل طائفة الموظفين هذه رجال القضاء ، ورجال المالية . ويتبقى لنا أنْ نذكر أن منصب (الأول بعد الملك) كان معمولاً به فى الوجه البحرى فقط ، لأن الملك كان يقيم فى الوجه القبلى[٢] .

٢ ـ الملك (خوفو) :

تولى الحكم بعد وفاة أبيه الملك سنفرو . واسمه الحقيقى هو (خنوم خوفنى) ومن أشهر أعماله بناء الهرم الأكبر[٣] ، إحدى عجائب الدنيا السبع ، ومن أعماله أيضًا الكشف عن مناجم النحاس والفيروز فى شبه جزيرة سيناء . كما قام بعدة حملات ضد القبائل السامية ، والذين كانوا يُعرفون باسم (مينتو) وقد نشطت التجارة الخارجية فى عهده بين مصر والقبائل المحيطة بالصحراء كما قام بتأديب سكان النوبة ومنعهم من الإغارة على الحدود المصرية[٤] .

٣ ـ الملك (ددف ـ رع) :

كانت فترة حكمه قصيرة ، لم تتجاوز الثمانى أعوام ، وقد بنى هرمًا فى منطقة (أبو رواش) . وقد دخل فى منازعات على الملك بين إخوته[٥] .

---

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ١ . ص ٢٨٤ .

(٢) المرجع السابق ، جـ ١ . ص ٢٨٥ .

(٣) انظر : تفصيل بناء الهرم الأكبر فى موضوع العمارة .

(٤) المرجع السابق . جـ ١ . ص ٢٩٤ .

(٥) سليم حسن ، نفس المرجع ، جـ ١ . ص ٢٩٥ .

٤ ـ الملك (خفرع) :

بانى الهرم الأوسط فى الجيزة ، وكان له من الأولاد عدد كبير بلغ ما يقرب حوالى ستة عشر ولدًا ، كما يُنسب له تمثال أبى الهول[١] .

٥ ـ الملك (منكاورع) :

تولى بعد وفاة أبيه خفرع ، ومن أهم أعماله بناء الهرم الأصغر ، وإكمال بقية مقابر أفراد أسرته ، ومقبرة والدته (خع - مرر - تشينى) . كما قام بإنشاء معبد الوادى ، والذى استكمله (شبسكاف)[٢] .

٦ ـ الملك (شبسكاف) :

تولى العرش بعد وفاة منكاورع ، وبنى هرمًا فى منطقة سقارة ، وقد بنى مقبرة تتكون من مصطبتين الأولى ضخمة ، والأخرى التى تعلوها على شكل تابوت . ويُعرف هذا البناء فى دهشور باسم (مصطبة فرعون) .

وقد حاول كثير من العلماء ، تفسير عدم قيام شبسكاف ببناء هرم بأنه كان قد تخلى عن عبادة الشمس ، كما أن بناء القبر على شكل تابوت يسمح للروح (كا) أن تأوى إليه[٣] .

٧ ـ الملكة (خت كاوس) :

هى بنت الملك منكاورع . الذى لم يُعقِبْ ذكورًا . وقد قامت باعتلاء العرش ودخلت فى صراع مع المتنافسين على الحكم . وقد أطلقت على نفسها (ملك الوجهين القبلى والبحرى) . وعلى الرغم من ذلك ساد فى عهدها الاضطرابات ، والمشاحنات ، وقد أنجبت ولدًا اسمه أوسركاف ، والذى تولى الحكم بعد ذلك[٤] .

---

(١) أبو الهول : يعتقد الكثيرون أنه ينسب للملك خفرع ، ولكن العلامة سليم حسن قد نفى هذا القول : انظر سليم حسن : أبو الهول تاريخه فى ضوء الكشوف الحديثة ، ترجمة : على الدين سالم ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ١٩٩٩م . ص ٧٤ : ٨٣ .

(٢) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ١ . ص ٣١٠ .

(٣) المرجع السابق ، جـ ١ . ص ٣١٣ .

(٤) سليم حسن : مصر القديمة ، جـ ١ . ص ٣١٩ .

الأسرة الخامسة

١ ـ الملك (أوسركاف) :

بدأ فى هذا العصر يزداد نفوذ الكهنة ، وخصوصًا كهنة الشمس (رع) . وكان هذا النفوذ يُرَى ظاهرًا فى مدينة عين شمس . وقد كان من أشهر الكهنة الذين تولوا الحكم (أوسركاف) وهو ابن الملكة خنت كاوس ، وقد قام أوسركاف بإنشاء العديد من المبانى الدينية ، ووهب أراضى كثيرة لمعابد (رع) . كما بنى محرابًا فى معبد (حور) بمدينة بوتو ، وخُصِّص لعبادة (حتحور) . كما بنى معبدًا للشمس فى منطقة (أبو صير) ، بالقرب من سقارة ، وواضح تمامًا أن لهذا الملك ميولاً دينية ، وضحت من اهتمامه بالمنشآت الدينية[١] .

٢ ـ الملك (سحورع) :

من أشهر أعماله إرسال الحملات إلى بلاد النوبة، كما أرسل أسطولاً لبلاد فينيقيا، كما أرسل فى آخر أيامه حملة إلى بلاد بونت[٢] ، عادت محمَّلة بحوالى ثمانين ألفًا من الروائح العطرية، وستين ألفَ مكيال ذهب، وألفين وستمائة عصى من الأبنوس ، أما عن أشهر أعماله العمرانية فبناء معبد الشمس فى منطقة (أبو صير) بالقرب من منف.

وقد دخل (سحورع) فى حروب مع الآسيويين ، وقد انتصر عليهم وإنْ كانت النقوش المحفورة لا توضح تفاصيل هذا الغزو ، وإنْ كانت توضح قيام الآسيويين بتقديم الغنائم للملك .

٣ ـ الملك (نفر ـ أوكارع) :

اشتهر هذا الملك بقيام علاقة قوية تربطه مع كبار موظفيه ، كما تميَّز بحُسْن الخلق . كما يُذكر له إلغاء السُّخرة فى أداء الأعمال العامة ، وقد كان يخصص هبات كثيرة ، ويخصّص الأوقاف على المبانى الدينية ، مثل الأوقاف التى خصَّصها لأرواح عين شمس ، وسماها (نفر - ار - كارع)[٣] .

---

(١) أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة ، ص ٦٣ .

(٢) بلاد بونت : هى بلاد الصومال حاليًا .

(٣) نفر - ار - كارع : معنى الكلمة روح الشمس الجميلة .

بقية ملوك الأسرة الخامسة :

منهم الملك نوسرع . وأشهر أعماله إرسال حملة إلى شبه جزيرة سيناء . وقد بلغت مدة حكمه حوالى ثلاثين عامًا ، ثم تولى من بعده الملك (منكاوصر) . وبلغتْ مدة حكمه ثمانية أعوام ، ثم تولى الملك (زدكارع) والمعروف باسم أسيى .

وقد قام هذا الملك بإحضار أقزام من بلاد بونت ، كما أرسل حملة إلى بلاد النوبة ، ثم تولى من بعده الملك (وناس) وهو آخر ملوك الأسرة الخامسة . وقد حكم مدة ثلاثين عامًا تقريبًا . وله هرم فى منطقة سقارة ، وفى عهده تمت كتابة متون دينية ، والتى عُرفت باسم متون الأهرام ، والتى تُعتبر بمثابة مادة علمية عن ديانة قدماء المصريين .

كما كان لهذا الملك علاقات مع سوريا ، كما نظَّم الأسواق الداخلية ، وفى عهده تم صُنْع الذهب ووزنه ، واستُخدم كوسيلة للتعامل التجارى . كما استخدم فى عهده كرانيش استخدمت فى تزيين المعابد ، وكانت تُحضر من أسوان . وكانت طريقة وصولها هى جرّها على زحافات ، ثم تحملها السفن فى النيل حتى مكان التشييد .

الأسرة السادسة

مؤسس هذه الأسرة هو الملك (سحتب تاوى ثيتى) ، وتعود هذه الأسرة فى أصولها إلى منف . ومن أشهر ملوك هذه الأسرة :

١ ـ الملك (ببى الأول) (٢٤٢٠ ـ ٢٢٨٠ ق. م) :

حكم مصر حوالى خمسين عامًا ، وقد تمكن من السيطرة على الحكم ، وقد وُجدت بعض المبانى التى قام بإنشائها فى تنيس، تل بسطة، العرابة المدفونة، ودندرة، وقفط . كما بنى هرمًا فى منطقة سقارة ، ونقشت على جدرانه متون دينية[1] . كما امتاز هذا الهرم بالتفنن فى إخفاء حجرة الدفن بعناية ، ووضْع العراقيل فى سبيل الوصول إليها .

(١) أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة ، ص ٢٠٧ . وانظر جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية . ص ٨٥ .

كما كانت له أمجاد حربية ، حيث أرسل حملات تأديبية ضد البدو الآسيويين ، ولذلك جهز جيشًا مكونًا من عشرات الألوف من الجنود ، وحارب هؤلاء البدو . وقد أرسل جيشًا إلى فلسطين للقضاء على ثورة نشبت هناك ، كما كان من الأسباب أيضًا وقف الهجرة التى حاول القيام بها سكان شرق ما بين النهرين[١] .

٢ ـ الملك (مرن رع) :

تولى الحكم فى سِن صغيرة بعد وفاة أبيه ، وقد لُقِّبَ بلقب (محتى أم ساف) . وكانت مدة حكمه حوالى سبعة أعوام ، وقد عثر على مومياته سليمة ، وبها خصلة شعر توضح سِنّه ، وهو بداية العشرينيات ، وقد قام بإرسال حملات لبلاد النوبة ، كما قام بزيارة لحدود مصر الجنوبية[٢] .

٣ ـ الملك (بيبى الثانى) (نفر أركارع) :

تولى حكم البلاد وهو فى سِنِّ السادسة ، وقد مكث فى الحكم لمدة أربعة وستين عامًا ، وتوفى وعنده مائة عام . وقد تولى الوصاية عليه (زاو) خاله ووزيره ، والذى استطاع الحفاظ على الأمن . وقد أرسل عدة بعثات إلى البلاد الأجنبية ، مثل إرسال (حرخوف) برحلة إلى بلاد النوبة ، وواصل رحلته إلى منطقة وسط إفريقيا ، وأحضر أقزامًا من هناك ، وقد قام الأقزام بدور هام فى حياة القصر الملكى ، حيث كانوا يقومون باللعب ، وتسلية الأمراء[٣] .

وقد سمَّى بيبى الثانى نفسه بعدة ألقاب ، وهى : رئيس عبادة (نخب) ، ومدير كل القوافل، والمحترم من قبل (بيبى نخت) ، كما أطلق عليه أيضًا لقب سمر نخن .

سقوط وانهيار الدولة القديمة :

توافرت عدة عوامل أدت لانهيار الدولة القديمة ، فقد تدهورت سلطة الفراعنة وخصوصًا فى عهد بيبى الثانى ، حيث انهارت السلطة بعد وفاته ، كما كان لإغارة الأجانب البدو على حدود البلاد ، بالإضافة لقيام الحرب الأهلية بين السكان دور فى هذا الانهيار.

---

(١) كان سبب هذه الحملات هو محاولة القبائل البدوية للتسلل إلى مصر .

(٢) لقب هذا الملك بلقب (محتى إم ساف) ومعناه (الإله محتى حاميه) .

(٣) سليم حسن : نفس المرجع ، جـ ١ . ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ .

كما كان لحكام الأقاليم دور كبير فى انهيار الدولة القديمة ، حيث استقل كل حاكم بإقليمه على اعتبار أنه مملكة خاصة له ، وقد نتج عن ذلك اضطراب الأمن ، واختلال القيم الخلقية والدينية . كما كان من نتائج هذا الإهمال قيام الشعب بثورة ضد الحكومة .

٣ ـ العصر المتوسط الأول

يعتبر هذا العصر من أظلم العصور الفرعونية ، وقد امتد من الأسرة السابعة حتى الأسرة الحادية عشر ، وقد اختُلف فى مدة هذا العصر فقيل إنه امتد نحو ٣٤٤ سنة ، بينما رأى آخر يقول : إنه امتد حوالى ٣١٥ سنة .

واشتهر أيضًا بأن الفراعين الذين تولوا الحكم لم يشيدوا أية مبَانٍ عظيمة كأسلافهم فى طول البلاد وعرضها ، أما أحوال البلاد فقد تدهورت ، وسادت الفوضى فى أنحائها .

الأسرة الثامنة القفطية[1] (٢٢٨٠ ـ ٢٢٤٠ ق. م) :

اختُلف أيضًا فى عهد الملوك الذين حكموا هذه الدولة ، ففى قائمة العرابة المدفونة بلغ عددهم سبعة عشر ملكًا ، وفى قائمة تورين ذكر عددهم بحوالى ثمانية فراعنة فقط ، أما المؤرخ مانيتون فقد ذكر عددهم بحوالى ثمانية عشر ملكًا . وقد سُمِّى هؤلاء الملوك بأسماء الفراعنة السابقين ، فوجدنا من أسمائهم (نفر كارع) واسم (ددف رع) . واسم (نفر إر كارع) .

وقد كان من أسباب ضعف الأسرة الثامنة تولية وزراء أقوياء سيطروا على الحكم ، ومن أشهر الوزراء ذوى النفوذ فى القصر الوزير (شماه) الذى كان مديرًا على الوجه القبلى .

وقد تعرضتْ مصر فى أثناء حكم هذه الأسرة لغزو من الجنوب قادم من النوبة ، بينما تعرَّضتْ الدلتا شمالاً لغزو من الآسيويين ، وتعرض وسط البلاد لغزو من الليبيين . وبذلك فقدت مصر معظم أراضيها فى عهد هذه الأسرة ، ومن الغريب اختلاط هؤلاء الحكام بدماء الشعب الغازية مثل النوبيين والليبيين .

---

(١) القفطية ، نسبة إلى مدينة قفط .

الأسرتان التاسعة والعاشرة :

اتخذت هاتان الأسرتان مدينة إهناسيا ، والتى تقع فى محافظة بنى سويف مقرًا لهم ، ولذلك يُعرف عصرهم باسم العصر الإهناسى ، وكان السبب فى اختيار إهناسيا أنها كانت عاصمة للوجه القبلى مثل توحيد الأرضين ، كما كانت تعتبر مركزًا مقدسًا فى البلاد .

١ - (خيتى الأول) :

وقد تعاقب على حكم البلاد عدة فراعين مثَّلوا أسرتين كما أسلفنا ، وبلغ عددهم حوالى تسعة عشر ملكًا ، وبلغ إجمالى مدة حكمهم ٤٠٩ سنة ، وأول فرعون حكم فى الأسرة التاسعة هو (خيتى الأول) . وكان حكمه سيئًا ألحق الضرر بكثير من المصريين ، وقد لقى حتفه بعد أن افترسه تمساح ، وقد بلغت مدة حكمه حوالى سبعة أعوام (٣٦٦٣ ق. م) . وقد اشتهر بلقب (مرى إيب رع)[١] .

٢ - خيتى الثانى :

زاد فى عهد هذا الملك نفوذ أمراء أسيوط ، وعلى الرغم من ذلك ساد البلاد فى عهده نوعٌ من الأمن والهدوء، وكان بالنسبة للعصر المتوسط الأول بمثابة أمر غريب، وقد تولى بعده الملك (خيتى الثالث) والذى قام خلاف بينه وبين أحد الأسر الكبيرة نزاع أدى إلى انهيار حكم أسرته سريعًا . وقد نتج عن هذا الصراع ظهور (أنتف العظيم) الذى اتخذ لقبًا فرعونيًا وهو (حور) وسمى نفسه (حور واح عنخ انتفا) وقد سيَّر حملة نيلية ضد فرعون إهناسيا ، ولكن مُنِى بهزيمة بحرية ، وتعتبر هذه أول معركة بحرية فى التاريخ[٢] .

وقد كرر أنتف محاولاته للسيطرة على إهناس واستولى على العرابة وطينة ، ثم وقَّع صلحًا مع خيتى الثالث واشترط عليه ألا يدمر الأماكن المقدسة .

---

(١) سليم حسن : نفس المرجع ، جـ ١ . ص ٤١٥ .

(٢) سليم حسن : نفس المرجع ، جـ ١ . ص ٤١٦ ، ٤١٧ .

وبهذا العرض يتضح لنا مدى الانهيار الذى عانته مصر فى العصر المتوسط الأول من فوضى ، ويمكن إجمال مظاهرها فى ازدياد نفوذ حكام الأقاليم ، وعدم اهتمام الحكام بتنفيذ العدالة بين رعاياهم ، واعتمادهم على المجاملات فى تولية المناصب ، بالإضافة لازدياد نفوذ الوزراء ، وظلَّتْ البلاد على هذا المنوال حتى بدأ عصر الدولة الوسطى .

٤ ـ الدولة الوسطى
(٢١٣٠ ـ ١٦٠٠ ق. م)

أُطلِق هذا المصطلح على الأسرة الحادية عشر، إلى الأسرة الرابعة عشر ، وقد تميز عصر هذه الدولة بالرخاء الاقتصادى ، حيث قام فراعنتها بتنظيم الإدارة ، وأعادوا هيبة الحكومة والتى كانت تدهورت فى العصر المتوسط الأول ، كما قامت بتحصين الحدود الجنوبية لمصر .

وفى عهد هذه الدولة زادت مساحة الرقعة الزراعية ، ولعل من أبرز أعمالهم إنشاء سد اللاهون لتنظيم الاستفادة من فيضان النيل ، ومن أشهر ملوك هذه الدولة:

١ ـ منتوحتب الأول :

تولى الحكم بعد الملك أنتف ، والذى حكم مدينة طيبة . وقد بلغت مدة حكم منتوحتب حوالى خمسين عامًا ، ومن أشهر أعماله إنهاء سلطة أهناسيا ، وأعاد وحدة المملكة تحت سيطرته ، واتخذ من مدينة طيبة عاصمة له[١] .

وقد أحبَّ المصريون منتوحتب الأول ، وظلوا يقيمون الشعائر الدينية بعد وفاته حوالى ألف عام ، ومن أشهر أعماله العمرانية إنشاء معبد جنائزى وقبر بالدير البحرى[٢] .

وقد خلف منتوحتب فى الحكم منتوحتب الثانى ، ومنتوحتب الثالث ، وفى عهدهما سادتْ الفوضى مرة ثانية ، حتى أعادت الأسرة الثانية عشر الأمن والأمان إلى ربوع البلاد ، ومن أشهر ملوك الأسرة الثانية عشر :

---

(١) جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية . ص ٣٢٠ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

١ ـ أمنمحات الأول (١٩٩١ ـ ١٩٦٢ ق. م) :

يعتبر مؤسس الأسرة الثانية عشر ، وكان يعمل وزيرًا لمنتوحتب فى عهد الأسرة الحادية عشر ، ومن أشهر أعماله نَقْل العاصمة من مدينة طيبة إلى مدينة اللشت[١] فى الفيوم . وقضى معظم سنوات حكمه فى إعادة تنظيم المملكة ، وإقرار سلطان التاج ، كما قام بطرد البدو (البدو الرحل) والذين استغلوا فترة الاضطرابات الداخلية فى مصر ، وأقاموا على حوافّ الدلتا .

٢ ـ سنوسرت الأول (١٩٧١ ـ ١٩٢٨ ق. م) :

ابن أمنمحات الأول ، وقد اشترك فى الحكم أثناء حكم والده لمدة عشر سنوات، وبعد وفاة والده أثناء الحرب ، عاد بسرعة وأنقذ البلاد من شفا حرب أهلية ، ووصلت انتصاراته إلى وراء الشلال الثانى ، كما أقام حصنًا بعد الشلال الثالث[٢] .

٣ ـ أمنمحات الثانى (١٩٢٩ ـ ١٨٩٥ ق. م) :

تولى الحكم بعد وفاة أبيه ، وتميَّز عصره بكثير من الغموض ، ولكن فى عهده زادت علاقات مصر الاقتصادية مع سوريا .

٤ ـ سنوسرت الثالث (١٨٧٨ ـ ١٨٤٣ ق. م) :

قضى على سلطة النبلاء ، وغزا بلاد النوبة ، وضمها إلى مصر ، وبلغت حدود الدولة فى عهده إلى منطقة سمنة جنوب الشلال الثانى . وأقام سلسلة من الحصون من سمنة إلى الفنتين[٣] ، وفى عهده أيضًا قاد حملة حربية واستولى على سيخم فى جبل إفرايم . وكان من نتائج هذه الحملة ازدياد نفوذ مصر على فلسطين وسوريا . ومن أشهر أعماله حفر قناة سنوسرت الثالث ، والمعروفة باسم (سيزوستريس)[٤] .

---

(١) اللشت : كانت تسمَّى آتت تاوى ، ومعناها القابضة على الأرض .

(٢) جورج بوزنر : مرجع سبق ذكره ، ص ١٩٣ .

(٣) ألفنتين : تُعرف الآن باسم جزيرة فيلة .

(٤) قناة سيزوستريس : تُعرف تاريخيًا باسم قناة سنوسرت الثالث . وكانت تخرج من أحد فروع النيل عند الدلتا ، وقد حفرت هذه القناة لربط مصر بأفريقيا ، وخصوصًا بلاد بونت . وقد غمرتها الرمال ، ثم أعيد حفرها ، مرة فى العصر اليونانى والرومانى ، ومرة فى عهد الفتح الإسلامى . وعرفت باسم خليج أمير المؤمنين .

٥ ـ أمنمحات الثالث (١٨٤٢ ـ ١٧٩٧ ق. م) :

تولى الحكم بعد سنوسرت الثالث . وكرس نفسه للأعمال الحربية ، من أشهر أعماله قصر اللالرنت فى الفيوم ، والتى اهتم بها ، وبنى فيها هرمًا ، ومعبدًا جنائزيًا . وفى عهده ازدهرت البلاد ازدهارًا كبيرًا .

٦ ـ أمنمحات الرابع (١٧٩٨ ـ ١٧٩٠ ق. م) :

آخر ملوك الأسرة الثانية عشر، فى عهده بدأ أفول حكم الدولة الوسطى القوى، وانتهى عصرها الزاهر ، وقد تولى من بعده ملوك ضعفاء حاولوا استرجاع هيبتهم ولكنهم فشلوا ، حتى وإنْ سَمّوا أنفسهم بلقب أمنمحات .

٥ ـ العصر المتوسط الثانى

تميز هذا العصر بأنه عصر الاحتلال الأجنبى ، حيث سقطت البلاد تحت حكم الهكسوس ، والذى استمر فترة طويلة امتدت قرنين من الزمان وأسسوا أسرتين حاكمتين ، وهما الأسرة الخامسة عشر ، والسادسة عشر .

والهكسوس قبائل رعوية ، وبدأ غزوهم لمصر عن طريق التسلل إلى الدلتا . وقد توافرتْ عوامل ساعدت هؤلاء الرعاة على بسط سيطرتهم على مصر منها : استغلال حالة الفوضى فى أواخر عصر الدولة الوسطى ، وأيضًا ارتفاع معدلات الهجرة من منطقة غرب آسيا ، بالإضافة لاستخدامهم سلاح العجلات الحربية ، والتى لم تكن معروفة فى مصر آنذاك .

وقد بسط هؤلاء الهكسوس سيطرتهم على منطقة شرق الدلتا ، واتخذوا عاصمة جديدة لهم ، وهى مدينة (أواريس)[1] ثم بسطوا نفوذهم على كل مناطق الدلتا ، كما دخلوا فى مهادنة مع مصر السفلى والوسطى، وبقيت مصر العليا فى علاقة عدائية لهم.

وقد احتقر المصريون الهكسوس ، وهم محقون فى ذلك ، حيث كان هؤلاء الهكسوس مجموعة متدنية حضاريًا ، قدموا من مناطق فقيرة ، وكانت مظاهر العداء

(١) أواريس : تُسمَّى الآن قرية فنتير بمركز فاقوس ، محافظة الشرقية .

بين المصريين والهكسوس عديدة ، منها إطلاق ألفاظ التحقير عليهم مثل ملوك الرعاة ، والرعاة[1]. وهذا أمر طبيعى وردّ فعل مشروع من المصريين ضد هؤلاء البدو الأجلاف ، كما كان من مظاهر العداء أيضًا قيام هؤلاء البدو الهكسوس بحرق المدن المصرية ، وهدم المعابد . ووصل بهم الغرور والصلف أنهم ادعوا بأن أفراس النهر فى الجنوب يزعج صوتها الملك ، وهى حجة واهية قدموها لمحاربة أحمس ، الذى لقَّنهم درسًا لم ينسوه .

وقد قاوم أمراء طيبة هؤلاء الهكسوس ؛ وقاد حركة المقاومة الأمير (سقنن - رع) وبعد وفاته قاد أخوه الأمير (كامس) الحرب ضد الهكسوس ، وقد انتهى أمر الهكسوس بعد أن قام أحمس بمطاردتهم إلى فلسطين ، وأبادهم ، وقطع أصولهم هناك فى فلسطين ، وبذلك تخلصت البلاد من عبثهم وشرورهم .

٦ ـ الدولة الحديثة

تميز عصر الدولة الحديثة بتكوين امبراطورية مصرية امتدتْ من بلاد الشام حتى بلاد النوبة ، كما تم تأسيس جيش قوى لحماية هذه الامبراطورية المترامية الأطراف ، وتُعرف أيضًا الدولة الحديثة باسم الامبراطورية الطيبية الثانية . وعُرفت أيضًا بتولِّى حكام أقوياء الحكم[2] . وقد تأسست هذه الدولة على يد أحمس الذى يعتبر مؤسس الأسرة الثامنة عشر . ومن أشهر ملوكها :

١ ـ أمنحوتب الأول (١٥٥٧ ـ ١٥٣٠ ق. م) :

ابن الملك أحمس ، وأبو الملك تحتمس . كان المصريون يؤلهونه على اعتبار أنه ملك الجبانة الطيبية . ووالدته هى نفرتارى[3] .

---

(١) جورج بوزنر ، معجم الحضارة المصرية . ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

(٢) هـ . ج ويلز : موجز تاريخ العالم ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ٢٠٠١م . ص ٨١ .

(٣) جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية . ص ٥٦ .

٢ ـ تحوتمس الأول (١٥٣٠ ـ ١٥٢٠ ق. م) :

ابن أمنحوتب الأول ، ويعتبر من القواد العسكريين المشهورين ، وبلغت حملاته العسكرية الناجحة إلى جنوب الشلال الرابع وإلى نهر الفرات فى العراق ، ويُعتبر أول مَنْ بنى مقبرة فى وادى الملوك فى الأقصر[١] .

٣ ـ تحوتمس الثانى (١٥٢٠ ـ ١٥٠٤ ق. م) :

حكم فى الفترة من ١٥٢٠ - ١٥٠٤ ق. م . وقد تزوَّج الملكة حتشبسوت ، وقد أنجب ولدين ، هما تحوتمس الثالث ، وأمنحوتب الثانى ، وفى عهده شاركته زوجته حتشبسوت الحكم ، وأنشأت معبد الدير البحرى ، ومسلات فى الكرنك ، وأرسلت رحلة لبلاد بونت[٢] .

٤ ـ تحوتمس الثالث (١٥٠٤ ـ ١٤٥٠ ق. م) :

كان من أشهر الحكام الفاتحين فى مصر ، قاد معركة مجدو المشهورة ضد الأمراء السوريين ، كما استطاع القضاء على ثورات الفلسطينيين والسوريين وأوقف زحف العراقيين ، كما رسَّخ الحكم المصرى ما بين الشلال الأول والرابع للنيل ، وقد سُجلت أعماله على معبد الكرنك ، وله مقبرة فى وادى الملوك[٣] .

٥ ـ أمنحوتب الثانى (١٤٥٠ ـ ١٤٢٥ ق. م) :

ابن تحوتمس الثالث . ووالد تحوتمس الرابع ، كان قائدًا محاربًا ، قضى على حركات التحرر التى واجهته ، وكان يستخدم الشدة مع أعدائه . ولعل أكبر جرائمه التى ارتكبها هى قتل الأمراء السوريين السبعة ، والتمثيل بجثثهم بمدينة طيبة[٤] .

٦ ـ تحوتمس الرابع (١٤٢٥ ـ ١٤٠٨ ق. م) :

تولى الحكم ، وحافظ على أملاك الدولة التى أسستها أسرته . وتُروى عنه قصة أنه رأى حلمًا عندما كان يستريح بجوار أبى الهول ، فطلب منه أبو الهول أن يزيل عنه

(١) جورج بوزنر : المرجع السابق . ص ٩٦ .

(٢) نفس المرجع ، نفس الصفحة .

(٣) جورج بوزنر : المرجع نفسه . ص ٩٦ .

(٤) جورج بوزنر : نفس المرجع ، ص ٩٧ .

الرمال إذا تمكن من الوصول للعرش ، فلما تبوأ تحوتمس الرابع عرش مصر ، أمر برفع الرمال التى كانت تغطى أبا الهول[١] .

٧ ـ أمنحوتب الثالث (١٤٠٨ ـ ١٣٧٢ ق. م) :

له العديد من الإنجازات المعمارية ، ومن أشهرها القصر الملكى ، والمعبد الجنائزى فى كوم الحيطان ، والذى لم يتبق منه إلا تمثالا أجا ممنون ، وله أيضًا تماثيل فى معبد الكرنك ، فقد أمر بإنشاء وحفر بركة مياه خاصة بزوجته ، وقد اتبع سياسة تقوم على عدم الحروب ، مما أعطى فرصة للأمراء الآسيويين للقيام بنكث عهودهم وولائهم لمصر[٢] .

٨ ـ أمنحوتب الرابع (إخناتون) (١٣٧٢ ـ ١٣٥٤ ق. م) :

سمى نفسه إخناتون ، ومعناه المخلص لآتون ، بدأت فى عصره ثورة دينية عندما أعلن التوحيد وحارب كهنة آمون ، ومن أجل الدفاع عن عقيدته الجديدة غيَّر اسمه لإخناتون بدلاً من اسمه أمنحوتب والذى يعنى آمون راضى ، واتخذ لنفسه عاصمة جديدة هى مدينة تل العمارنة[٣] .

وقد كان من نتائج الثورة الدينية التى قام بها أن هُدمت معظم معابد الديانة المصرية السابقة ، وصممت معابد جديدة عبارة عن أفنية واسعة مكشوفة يغمرها ضوء الشمس ، وله مجموعة صلوات وأدعية خاصة به ، وقد تزوج إخناتون من نفرتيتى[٤] .

وقد كانت ثورته الدينية سببًا فى بُعْده عن السياسة ، حيث انشغل بنشر ديانته الجديدة مما مكَّن البدو الآسيويين من اجتياح البلاد ، وقد انتهت دعوته بسبب تزعُّم الكهنة الثورة ضده[٥] .

---

(١) جورج بوزنر : مرجع سبق ذكره ، ص ٩٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٣) عن الثورة الدينية لإخناتون راجع أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة ، ص ١٣٠ : ١٤٩ .

(٤) المرجع السابق نفس الصفحات .

(٥) جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية القديمة ص ١٩ .

٩ ـ توت عنخ آمون (١٣٥٤ ـ ١٣٤٥ ق. م) :

تولَّى الحكم بعد وفاة إخناتون ، وقد كان زوجًا لإحدى بنات إخناتون ، فلما توفى إخناتون ورث هو الحكم ومازال شابًا ، ويعتبر توت عنخ آمون ومعنى اسمه الصورة الحية لآمون ، وقد غيَّر اسمه إرضاءً للكهنة آخر ملوك الأسرة الثامنة عشر .

وسبب شهرة توت عنخ آمون هى اكتشاف مقبرته كاملة فى عام ١٩٢٢ م[١] وتحتوى على تماثيله وقناعه الذهبى ، وكانت المقبرة سليمة لم تُمس على غير عادة معظم المقابر الملكية المصرية ، والتى كانت تتعرض للنهب المنظم .

الأسرة التاسعة عشر :

تُعرف هذه الأسرة ، باسم أسرة الرعامسة ، وامتد عصرها حتى منتصف عصر الدولة الحديثة ، وأول ملك حكم فى هذه الأسرة هو الملك :

١ ـ رمسيس الأول (١٣١٤ ـ ١٣١٢ ق. م) :

وقد استطاع محو كل آثار ثورة إخناتون الدينية ، وقد تولى الحكم وهو كبير فى السن .

٢ ـ سيتى الأول (١٣١٢ ـ ١٣٠٠ ق. م) :

ثانى ملك تولى بعد والده رمسيس الأول ، ووالد رمسيس الثانى ، استطاع توطيد سلطة مصر فى فلسطين ، وقاوم الحيثيين ، وعقد معهم معاهدة ، وقد قام بإنشاء معبد القرنة الجنائزى بطيبة .. كما بنى بهو الأعمدة المسقوف فى معبد الكرنك، وقد تم تزيين هذا البهو بمناظر طقسية ، وصور توضح انتصارات هذا الملك على البدو ، والليبيين ، والأموريين فى قادش .

٣ ـ رمسيس الثانى (١٣٠١ ـ ١٢٣٥ ق. م) :

استمر فى الحكم لمدة سبعة وستين عامًا ، وبلغ عدد زوجاته حوالى خمس أو ست زوجات ، وبلغ عدد أولاده حوالى مائة .

---

(١) اكتشفت المقبرة على يد عالم الآثار الأمريكى هوارد كارتر ، بتمويل من لورد كارنفون .

اهتم كثيرًا بالعمران ، حتى يُذكر أنه قد أضنى وأتعب المهندسين من كثرة قيامه بالإنشاءات ، وتشمل آثاره جميع أنحاء مصر ، ومن أشهر مبانيه معبد الرامسيوم ، ومجموعة معابد منحوتة فى الصخر بالنوبة ، كما أنشأ معابد بأبيدوس ، والكرنك[١] .

وبجانب أعماله العمرانية قام بحملات عسكرية ناجحة مثل قيامه بمحاربة الحيثيين فى معركة قادش ، وانتصر عليهم ، ووقّع معهم معاهدة سلام ، ولكن فى أواخر عهده بدأ الليبيون يقومون بالإغارة على مدينة منف[٢] .

أما عن قصة بنى إسرائيل مع رمسيس ، فقد بدأ قدومهم إلى مصر فى عهد الهكسوس ، واستوطنوا حدود الدلتا الشرقية ، وقد وصل بعض اليهود لمناصب كبيرة مثل (بن عازن) حامل كأس مرنبتاح . وقد عاش موسى (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) فى قصر فرعون وهو رمسيس الثانى وتلقى تربية مصرية[٣] .

وقد بدأ اضطهاد بنى إسرائيل كإجراء من الإجراءات التى اتخذها رمسيس الثانى لتأديب قبائل (الشاسو) ، وهم البدو الذين كانوا يعيشون فى المنطقة التى تمتد من صحراء النقب حتى حدود الدلتا الشرقية ، وزاد هذا الاضطهاد أكثر فى عهد مرنبتاح ، والذى تم فى عهده خروج اليهود من مصر[٤] .

أما عن قصة موسى (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) ، فقد وُلِد فى محافظة الشرقية ، فى الوقت الذى اشتد فيه الاضطهاد ضد اليهود ، وكان رمسيس قد أمر بقتل كل طفل يُولد من بنى إسرائيل. فخافت أم موسى عليه من القتل وألقته فى اليم، وهو الآن يسمى ترعة السماعنة ، أو بحر موسى ، أو بحر البقر . وعندما تم التقاطه من اليم أطلق عليه لقب (مو - سس) ومعناه ابن المياه[٥] .

---

(١) أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة . ص ١٥٥ . وانظر جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية القديمة . ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٢) جورج بوزنر : المرجع السابق ، ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٣) حسن الرزاز : طرق مصر المقدسة ، مكتبة الأسرة القاهرة ١٩٩٧م ، ص ١٩ .

(٤) حسن الرزاز : المرجع السابق ، ص ١٩ ، ٢٠ .

(٥) حسن الرزاز : مرجع سبق ذكره . ص ١٦ .

وقصة خروج اليهود من مصر[1] تبدأ عندما قام موسى (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) فى تجهيز بنى إسرائيل للخروج سرًا من مصر ، وكان الاتفاق على أن يتم الخروج فى مجموعات صغيرة ، حتى لا ينكشف أمرها ، وأن تكون التحركات فى الظلام ليلاً .

وبعد تكامل عدد اليهود سمع فرعون بقصة هروبهم ، واشتكى المصريون أن اليهود خرجوا بحُليهم ، فأدركهم فرعون ، فخاف اليهود . وناجى موسى(عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) ربه أنْ ينجيه . فأمره الله سبحانه وتعالى أن يضرب البحر بعصاه فانشق البحر وكوّن طريقًا عبره بنو إسرائيل ، وعندما حاول فرعون السير وراءه ، انطبقت عليه المياه وغرق ، ثم لفظ البحر جثته[2] .

يتبقى لنا أن نذكر فى إطار الحديث عن قصة اليهود فى مصر . أن نتحدث عن قضية حاول اليهود إثارتها ، وهى ادعاؤهم أنهم ساهموا فى بناء الأهرام . وهذه الرواية الكاذبة لا توجد حقائق تاريخية تؤيدها ، فمن المعلوم أن الأهرامات بُنيت فى عهد الدولة القديمة .

واليهود ظهروا منذ بداية الدولة الوسطى كجماعات صغيرة ، ولم يكُنْ لهم وجود بارز إلا فى عهد الدولة الحديثة ، فكيف يدَّعون برواياتهم الساذجة أنهم شاركوا فى عمل يسبق وجودهم بآلاف السنين .

والحقيقة الثانية التى يجب ألاَّ تغفل عن أذهان القراء ، هو أن بنى إسرائيل الذين عاشوا فى مصر ، وظهر فيهم النبى موسى (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) غير اليهود الذين يعيشون فى فلسطين الآن ، فيهود التوراة قد انقرض معظمهم ، أما اليهود الحاليون فهم يهود أتوا من روسيا وأوربا ، وليست لهم علاقة بيهود التوراة .

---

(١) بدأ الخروج من مصر من بلدة قنطير ، شمال مدينة فاقوس ، وقد استغرقت الرحلة حوالى عشرين كيلو مترًا . وكان خط سير الرحلة إلى الصالحية ، ثم بحيرة المنزلة ، ثم تل ضبعة وتقع شرق القنطرة شرق . انظر حسن الرزاز : مرجع سبق ذكره . ص ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) المرجع السابق . ص ٢٣ .

٤ ـ رمسيس الثالث (١١٩٨ ـ ١١٦٦ ق. م) :

حاول هذا الملك تقليد رمسيس الثانى فى اهتمامه بالعمران، والحروب الخارجية، فقد قام بإنشاء معبد هابو ، كما قام بتوجيه حملات استطاعت صَدَّ غزوات الليبيين ، كما قاد أول معركة بحرية فى التاريخ ضد شعوب البحر المتوسط ، والذين قدموا من جزر إيجة ، وقد استطاع الانتصار عليهم[١] .

أما بقية أفراد أسرة الرعامسة ، وهم من رمسيس الرابع إلى رمسيس الحادى عشر . فكان حكمهم خاملاً ، وقد امتدت فترة حكمهم من (١١٦٦ - ١٠٨٥ ق. م). وقد شهدت هذه الفترة انحلالاً انتشر بفساد إدارى ، وصراعات داخلية ، وسيادة حربية على ممتلكات آمون . كما تم نهب مقابر طيبة، بل وصل الأمر لتشويه الموميات، كما ارتفعت الأسعار فى هذه الفترة ، وصعبت وسائل المعيشة[٢] .

بعد انتهاء عصر الرعامسة ، دخلت البلاد فى عصر الفوضى والظلام ، والذى يُعرف باسم عصور الانهيار ، وقد تولى الحكم ملوك كهنة مثل حريحور الذى ارتقى العرش عام (١١٠٠ ق. م) وقد حكم البلاد على اعتبار أنه ممثل لآمون . وقد قام بهدم كثير من المعابد وأخذ أحجارها لبناء معابد جديدة ، ومن أشهر المعابد التى حطمها معبد كوم الحيتان الكبير والذى أنشأه أمنحوتب الثالث[٣] .

وقد تولى الحكم بعد ذلك فى مصر أسرة ليبية عُرفت باسم شاشانق ، وبدأت هذه الأسرة حكمها بشاشانق الأول (٩٥٠ - ٩٢٩ ق. م) . وقد دخل مدينة أورشليم ، وخربها ، ومن أشهر أعماله العمرانية إنشاء ممر من الحجر الرملى أمام معبد الكرنك ، كما أعاد تنظيم البلاد على أسس إدارية سليمة[٤] .

---

(١) جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية . ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٧٥ .

(٣) أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة ، ص ٣٥١ .

(٤) أدولف إرمان: المرجع السابق، ص ٣٥١. وانظر جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية . ص١٩٧ .

وتولى بعده مجموعة من الأفراد ، لم تذكر المراجع التاريخية عنهم شيئًا إلا شاشانق الأخير ، والذى وُجدت مقبرته سليمة فى تانيس ، وقد تميز عصر هؤلاء بجرِّ البلاد إلى الفوضى .

٧ ـ عصر النهضة

هو العصر الذى بدأ بعد عصر الرعامسة ، وقد شهدت فيه البلاد انتعاشًا سياسيًا ، ومن أشهر ملوك هذا العصر :

١ ـ بسماتيك الأول (٦٦٤ ـ ٦١٠ ق. م) :

فى بداية عهده قضى على تمرد حكام الأقاليم فى الدلتا ، وطارد الأشوريين ، والأثيوبيين من مصر العليا ، كما قام بتجنيد الجنود المرتزقة من الإغريق فى الجيش المصرى[١] .

٢ ـ نخاو الثانى (٦١٠ ـ ٥٩٥ ق. م) :

تولى الحكم وبدأ أعماله بمحاربة يوشيا ملك يهوذا وقتله ، وعين نخاو ملكًا على فلسطين بمعرفته ، واستمر نخاو يسيطر على فلسطين وسوريا لمدة أربع سنوات ، وفى نهايتها أباد بختنصر جيش نخاو فى قرقميش عام ٦٠٥ ق. م[٢] .

وقد اهتم نخاو بالنشاط التجارى والبحرى وحفر قناة بحرية ، وأسس أسطولاً من سفن ذات ثلاثة صفوف من المجاديف ، كما كلف الرحالة الفينيقيين بالدوران حول إفريقيا وكشف طريق رأس الرجاء الصالح ، وقد استمرت الرحلة حوالى ثلاث سنوات[٣] .

٣ ـ بسماتيك الثانى (٥٩٥ ـ ٥٨٩ ق. م) :

استهل بداية حكمه بإرسال حملة إلى بلاد إثيوبيا ، واستطاع الانتصار على الأحباش ، وقد وصل إلى قلب إثيوبيا ، وقد سجلت هذه الحملة على جدران معبد أبى سنبل ببلاد النوبة .

---

(١) عرف الإغريق طريقهم لمصر منذ القدم ، وكانت لهم مستعمرات إغريقية .

(٢) جورج بوزنر : مرجع سبق ذكره . ص ٣٤٠ . وانظر إلى ويلز : موجز تاريخ العالم . ص ٩٢ .

(٣) استطاع الفينيقيون الدوران حول إفريقيا ، فخرجوا عبر ساحل المحيط الأطلنطى ، وعبروا رأس الرجاء الصالح ، ثم شرق أفريقيا حتى البحر الأحمر ، وكانوا يزرعون القمح فى كل مكان يستقرون فيه .

٤ ـ أحمس الثانى (٥٧٠ ـ ٥٢٦ ق. م) :

وصل للحكم عن طريق ثورة قامت بها مجموعة ليبية ضد حكم أبريس وجنوده المرتزقة من اليونان ، ولكن بعد وصول أحمس الثانى للحكم مال إلى الإغريق ، كما اشتهر بدهائه السياسى عندما زوَّج ابنة إبريس لملك الفُرس .

٥ ـ بسماتيك الثالث :

تولى الحكم فترة قصيرة لم تتجاوز الستة أشهر ، وفى عهده تعرضت البلاد لغزو فارسى بقيادة قمبيز ، والذى قتل بسماتيك الثالث فى عام ٥٢٥ ق. م ، وسقطتْ مصر تحت يد الاحتلال الفارسى .

٨ ـ العصر الفارسى

بدأ هذا العصر عندما استطاع قمبيز الانتصار على جيش بسماتيك الثالث فى عام (٥٢٥ ق. م) ، وقد بدأ قمبيز يعمل على إثارة الشعب المصرى ضده بإجراءاته التى اتخذها مثل تحقيره لمعبودات قدماء المصريين .

وعلى الرغم من تغيير سياسته تجاه الديانة المصرية القديمة عن طريق تقريبه لرجال الدين المصريين أو هدم بيوت الأجانب الذين سكنوا فى حرم معبد سايس ، إلا أن ذلك لم يشفع له فى كراهية المصريين له[١] .

داريوس :

حاول إصلاح ما أتلفه قمبيز فى العلاقة بين المصريين والفرس ، ومن مظاهر هذا الإصلاح اهتمامه بإصلاح مدرسة الكهنة ، وتزويدها بالكتب والأدوات اللازمة للتعليم ، كما بنى معبد آمون فى واحة سيوة[٢] .

وعلى الرغم من محاولات الفرس التقرب إلى المصريين . لم تنجح هذه المحاولات فى صنع ثورات المصريين ضد الفرس بصفتهم حكامًا أجانب حتى نجحت الثورات فى التخلص من الحكم الفارسى ، بمساعدة الإسكندر المقدونى .

---

(١) ج . ويلز : موجز تاريخ العالم . ص ٩٤ : ٩٦ . وانظر أدولف إرمان : مرجع سبق ذكره . ص ٣٦٩.

(٢) أدولف إرمان : المرجع السابق . ص ٣٧٠ .

٩ ـ العصر اليونانى والبطلمى

بدأ هذا العصر عندما تمكَّن الإسكندر المقدونى، من فتح مصر فى عام٣٣٢ق.م، وكان السبب الداعى لهذا الغزو ، هو محاربة الفرس الذين كانوا يحتلون مصر .

وقد عرف المصريون الإغريق منذ فترة كبيرة ، حيث كان يعمل هؤلاء الإغريق كجنود مرتزقة فى الجيش المصرى ، كما عمل هؤلاء أيضًا بأعمال التجارة والسمسرة التى اشتهروا بها ، كما سمح لهم بتأسيس مدينة خاصة بهم ، وهى مدينة نقراطيس[١] .

ولم يحسن هؤلاء الإغريق معاملة الشعب المصرى ، الذى رحب بهم وأعطاهم حرية العمل والحركة فى مصر ، بل سخر هؤلاء من عقائد قدماء المصريين، ومن مظاهر هذه السخرية إطلاقهم لفظ الخبز على أهرامات الجيزة (Pyramids) ، كما سخروا من مقابر وادى الملوك ، وهكذا لم يختلفوا كثيرًا عن الفرس فى تحقيرهم لعقيدة قدماء المصريين[٢] .

وبعد دخول الإسكندر مصر حاول كمظهر سياسى التقرب إلى المصريين باحترام العقيدة فزار معبد آمون فى الواحات ، وقدَّم القرابين وأسماه الكهنة (ابن آمون) . وبدأ الإغريق فى عهده السيطرة على مقاليد الأمور فى مصر ، وحاولوا طبع البلاد بالطابع الإغريقى ، ولكن المصريين حافظوا على قوميتهم ، وعقيدتهم ضد محاولات الإغريق للتخلص من القومية المصرية .

فقد قام الإسكندر المقدونى بإنشاء مدينة ، تكون عاصمة لمصر فأنشأ مدينة الإسكندرية ، وحدد أهدافه من المدينة الجديدة بأن تكون بديلاً عن موانئ سوريا . وبسبب قُرْبها من بلاد اليونان بالإضافة لجعلها مركزًا لنشر الحضارة الهيللنستية[٣] .

ولذلك اختار بقعة جيرية تسمى راقودة ، وأوصلها بجزيرة فاروس ، عن طريق جسر بحرى ، وأمر المهندسين بتخطيطها طبقًا لتخطيط المدن الإغريقية ، وقد ازدهرت هذه المدينة فى العصر البطلمى ، وأصبحت عاصمة لمصر[٤] .

---

(١) أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة ص ٣٧٩ .

(٢) المرجع السابق . ص ٣٩٩ ، ٤٠١ .

(٣) الحضارة الهيللنستية : هى مزج الحضارة اليونانية بحضارات الشرق .

(٤) هـ. ج . ويلز : موجز تاريخ العالم . ص ١٢٢ .

وبعد إرساء دعائم حكمه فى مصر ، وسيطرته على مصر حتى الشلال الأول وبعد تتويجه ملكًا رسميًا على مصر فى معبد بتاح بمدينة منف ، واصل الإسكندر فتوحاته فى المشرق . وفى العراق مات محمومًا نتيجة لدغه ببعوضة الملاريا . وقسمت امبراطوريته بين قواده الأثيرين ، فكانت مصر من نصيب بطليموس[1] .

عصر البطالمة :

بدأ هذا العصر عندما تولى بطليموس الأول حكم مصر بعد وفاة الإسكندر ، وقد بلغ عدد الملوك البطالمة الذين حكموا مصر حوالى خمسة عشر ملكًا . وفى عهد البطالمة شهدتْ مصر نظمًا إدارية جديدة ، كما جعلوا الإسكندرية عاصمة لمصر ، ومدينة تجارية كبيرة فى شرق البحر المتوسط ، كما اهتموا بإنشاء المعابد مثل معبد فيلة، إدفو ، وإسنا ، وكوم امبو ، ودندرة[2] .

وعلى الرغم من كل إصلاحات البطالمة ، والتى قاموا بها فى مصر ، إلا أن المصريين ثاروا عليهم من واقع اعتزازهم بقوميتهم المصرية ، وقادت طيبة الثورات عليهم ، وفى إطار الاعتزاز والاهتمام بالقومية ظهرت اللغة الديموطيقية ، وبدأت ملامح الفن القبطى فى الظهور .

وسنحاول أن نعرض لأهم ملوك عصر البطالمة :

١ ـ بطليموس الأول (٣٠٤ ـ ٢٨٢ ق. م) :

تولى الحكم بعد وفاة الإسكندر ، وفى عصره اهتم بتنظيم البلاد إداريًا وتقسيمها لأقسام ، كما أدخل عبادة سرابيس فى مصر . كما أسس مدينة بطليموس فى الصعيد[3].

٢ ـ بطليموس الثانى (٢٨٢ ـ ٢٤٦ ق. م) :

ابن بطليموس الأول . أدخل نظمًا صارمة فى الإدارة . وأسس زراعة حديثة استُخدمت فيها السواقى ، كما قام بإنشاء جامعة الإسكندرية (دار البحث العلمى)

---

(١) المرجع السابق . ص ١٢٣ .

(٢) المرجع السابق . ص ١٢٥ : ١٢٨ .

(٣) جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية . ص ٨٣ . وانظر : ج ويلز : موجز تاريخ العالم ص ١٢٥ .

وأنشأ مكتبة الإسكندرية . وفى عهده ترجمت التوراة إلى اليونانية ، كما اهتم بفتح الطريق المائى بين القاهرة والبحر الأحمر (قناة سيزوستريس)[١] .

٣ ـ بطليموس الثالث (٢٤٦ ـ ٢٢١ ق. م) :

بدأ عهده بتحقيق عدة نجاحات دبلوماسية ، وعسكرية . فقد دخل فى معركة رفح ضد الدولة السليوفية فى عهد أنيوخوس الثالث فى عام ٢١٧ ق.م وانتصر الجيش المصرى على السليوفيين . وتعد هذه المعركة من أشهر المعارك التى رفعت الروح المعنوية لدى المصريين ، وأعادتْ لهم الثقة فى أنفسهم ، كما شاهد عصر هذا الملك قيام ثورة فى طيبة ضده[٢] .

٤ ـ بطليموس الخامس (٢٠٥ ـ ١٨٠ ق. م) :

أعاد الأمن إلى ربوع البلاد ، واحتفظ بممتلكات مصر فى آسيا الصغرى وفلسطين ، وبحر إيجة . وتولى من بعده مجموعة أخرى من الملوك تحمل لقب بطليموس ، ووصلوا إلى بطليموس العاشر . وقد دخل أفراد الأسرة فى صراع مع بعضهم البعض ، حتى سقطت مصر تحت حكم الرومان فى عهد الملكة كليوباترا بعد موقعة أكتيوم البحرية[٣] .

وقد عاش البطالمة ، محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم اليونانية ، وإنْ كانوا يتقربون إلى المصريين فى المناسبات ، واحترموا عقائد المصريين ، وفى عهد البطالمة أيضًا أصبحت اللغة الإغريقية لغة الحكام واللغة الرسمية ، أما المصريون فقد حافظوا على عقيدتهم ولغتهم الوطنية ، والتى طوروها وكتبوها بلغة إغريقية عُرِفت فيما بعد باسم اللغة القبطية[٤] .

---

(١) جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية . ص ٨٣ .

(٢) جورج بوزنر : المرجع السابق . ص ٨٣ .

(٣) كانت هذه المعركة عام ٣١ ق. م وأنهت حكم البطالمة ، وأصبحت مصر ولاية رومانية .

(٤) ما زالت هذه اللغة تُستخدم فى أداء الصلوات بالكنائس المصرية .

١٠ ـ العصر الرومانى

ظهرتْ الامبراطورية الرومانية فى شبه الجزيرة الإيطالية ، وقد استطاعت هذه الدولة بسط سيطرتها على حوض البحر المتوسط ، فسيطرت على شمال إفريقيا ، ومصر ، وسوريا ، وتركيا ، وبلاد اليونان . كما امتد اتساع هذه الدولة ليشمل بلاد شرق أوربا وغربها[١] .

وقد بدأ العصر الذهبى للرومان ، بعد تولية (أوكتافيوس) امبراطورًا فى عام ٢٧ ق. م ، وإعطائه سلطات واسعة مثل قيادة القوات المسلحة الرومانية ، كما أطلقوا عليه لقبًا تشريفيًّا وهو أغسطس ، ومعناه (المهيب)[٢] .

وقد تطلع الرومان إلى غزو مصر ، وخصوصًا بعد تدخُّل كليوباترا حاكمة مصر البطلمية فى الصراع الداخلى الذى كان يجرى بين القواد : أوكتافيوس ، ولبيدوس ، وأنطونيوس .. وكان سبب التدخل مساندة حبيبها أنطونيو فى صراعه ضد هؤلاء القادة .

ولذلك أرسل أوكتافيوس أسطولاً بحريًا استطاع الانتصار على الأسطول المصرى فى موقعة أكتيوم البحرية عام ٣١ ق.م ، وبذلك سيطر الرومان على مصر واستمرت فترة حكمهم حوالى سبعة قرون .

وقد كانت مصر أهم الولايات الرومانية بسبب أهمية موقعها الجغرافى ، الذى يتميز بتوسطه بين العالم القديم ، بالإضافة إلى أنها كانت تمد روما بالغلال ، ولذلك أُطلق عليها (سلة القمح) وكانت الهدية السنوية من القمح تسمى (الشحنة السعيدة) ، وقد حدث أن توقفتْ هذه الشحنة مرة فأصابت المجاعة روما .

وانطلاقًا من أهمية مصر بالنسبة للدولة الرومانية ، نجد أنها وُضعت تحت الإشراف المباشر للامبراطور الرومانى ، بدون أن يكون لمجلس السناتو أى سيطرة

---

(١) تشارلزورث : الامبراطورية الرومانية ، ترجمة رمزى عبده ، الهيئة العامة للكتاب . (مشروع مكتبة الأسرة) ، القاهرة ، ١٩٩٩م . ص ٧ .

(٢) المرجع السابق . ص ١٢ . وانظرج. ويلز : موجز تاريخ العالم . ص ١٦٠ ، ١٦١ .

عليها ، أو حتى يتولوا مناصب إدارية فيها . وقد قسمت مصر فى عهد الرومان إلى ثلاثة أقسام رئيسية ، وهى : مصر الوسطى ، ومصر السفلى ، ومصر العليا . وأسندت رئاسة كل قسم إلى قائد عام يُعينه الامبراطور ، ويكون خاضعًا له شخصيًا ، كما قسَّم كل قسم إلى أقاليم .

وعلى الرغم من أهمية مصر للامبراطورية الرومانية فقد شاب الحكم الرومانى لمصر فساد تمثلت مظاهره فى الاستغلال الاقتصادى ، والذى تمثل فى فرض الضرائب الباهظة على المصريين ، مثل ضريبة الرأس التى تُؤخذ على كل فرد ، وأيضًا النهب الاقتصادى المنظم لمصر . كما كان من مظاهر الفساد تسخير المصريين فى الأعمال ، واستخدام الشدة معهم ، وأيضًا حرمان المصريين من حقوقهم واعتبارهم طائفة دنيا ليست لهم أية امتيازات[1] .

ولكن الشعب المصرى لم يقف مكتوف الأيدى أمام الرومان ، بل قاومهم بكل شدة ، واستخدم كافة ألوان الثورات ضدهم سواء كانت ثورات سلبية مثل الامتناع عن دفع الضرائب ، وهجرة الأراضى الزراعية . أو عن طريق المقاومة المسلحة ، كما حدث فى ثورة الدلتا بزعامة (أزيدورس) والتى تُعرف باسم ثورة الرعاة .

وقد استطاع هؤلاء الثوار هزيمة القوات الرومانية ، وتشتيت شملها ، وزحفوا إلى مدينة الإسكندرية وحاصروها لولا تواصل النجدات من روما ، والتى استطاعت إيقاف الثورة[2] .

وقد حاول بعض الأباطرة الرومان التودد إلى الشعب المصرى مثل : هادريان وتراجان عن طريق الإصلاحات الاقتصادية . واحترام عقائد قدماء المصريين ، ولكن المصريين لم يكفوا عن الثورة ضد هؤلاء الرومان .

وقد مَرَّ الحكم الرومانى فى مصر بمرحلتين ، وهما مرحلة الحكم الرومانى ، وامتدت من عام ٣١ ق.م إلى عام ٣٩٥م . والمرحلة الثانية هى مرحلة الحكم البيزنطى ، وامتدت من فترة ٣٩٥م إلى عام ٦٤١م .

---

(١) أدولف إرمان : ديانة مصر القديمة . ص ٣٩٨ .

(٢) شارلزورث : الامبراطورية الرومانية . ص ٦٥ ، ٦٦ .

وقد انتشرت المسيحية فى مصر على يد القديس مرقص، وتأسست فى الإسكندرية مدرسة للدراسات الدينية . وكان من نتاج اعتناق المصريين للمسيحية تعرضهم لاضطهاد شديد من الرومان ، وخصوصًا فى عهد نيرون (٥٤ - ٦٨م) الذى اضطهد المسيحيين فى مصر .

وقد زاد الاضطهاد أكثر فى عهد الامبراطور دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥م) الذى هدم الكنائس ، وأعدم كثيرًا من المسيحيين ، وقد قُتل ما يقرب من ثمانمائة ألف من المسيحيين ، ولذلك يُسمى عصره بعصر الشهداء وهو بداية التقويم القبطى .

وقد كان من نتيجة الاضطهاد الذى تعرض له المسيحيون المصريون فرار الكثير منهم إلى الصحراء هربًا بدينهم الجديد ، ومن هنا ظهرت فكرة الرهبانية ، وهى التى علَّمتها مصر للعالم .

ووجدت حركة الرهبنة فى مصر تربة خصبة لانتشارها ، وهى وجود الصحراء والتى كان يلجأ إليها الرهبان فرارًا من بطش الرومان . وقد انقسمت حركة الرهبنة لقسمين ، وهما العزلة التامة أو التوحد ، حيث يقوم الراهب بتدبير احتياجاته بنفسه ، ومن أشهر الرهبان المتوحدين الأنبا أنطون .

والنوع الثانى من الرهبنة هو نظام الشركة ، وتعنى تعاون الرهبان مع بعضهم البعض ويعيشون داخل دير مُحاط بالأسوار لحمايته ، ويقسم إلى حجرات مخصصة للرهبان تُسمى الحجرة بالقلاية . ومن رواد الرهبنة بالشراكة الأنبا باخوم ، والأنبا شنودة الأتربى .

وقد ترتب على حركة الرهبنة فى مصر عدة نتائج ، منها انتشار التعليم على يد الرهبان فى كل أنحاء مصر ، وقيام حركة تأليف للكتب وخصوصًا التى تتناول العقيدة، وقيام حركة نسخ الكتب وانتشارها مثل كتب السير ، وتفسير الكتاب المقدس .

وبعد اعتناق الرومان المسيحية ، واتخاذها دينًا رسميًا للامبراطورية الرومانية فى عهد الامبراطور قسطنطين[1] . لم يَسْلم المسيحيون المصريون من الاضطهاد أيضًا ، والسبب هذه المرة هو الاختلاف فى المذهب الدينى ، فبينما اعتنق الرومان المذهب الملكانى ، نجد أن المصريين اعتنقوا المذهب اليعقوبى مما كان بداية لسلسلة جديدة من الاضطهادات ، وكأن من قدر المصريين أن يدفعوا دائمًا ثمن اعتزازهم بأنفسهم ، وتمسُّكهم بعقيدتهم .

* * *

(١) ج . ويلز : موجز تاريخ العالم . ص ١٢ : ٢٧٢ .

الفصل الثاني

مظاهر الحضارة المصرية القديمة

١ ـ الدين عند قدماء المصريين[١]

لعب الدينُ دورًا هامًا فى حياة قدماء المصريين، فهم قد عاشوا بالدين، وللدين . وقد أسهم الدين المصرى القديم فى بناء الحضارة المصرية القديمة عن طريق غرس قيم الخير فى نفوس المصريين ، وعن طريق اهتمامهم بالحياة الأخرى انبثقت كل العلوم والفنون ، والتى تخلد الروح فظهر علم الطب ، والكيمياء ، والعمارة كلها كانت علومًا وفنونًا فى خدمة الدين .

ولقد مرَّ الدين المصرى بعدة مراحل ، حتى وصل لنا بالصورة الكاملة ، والتى نعرفها عنه ، وإنْ كان يكتنفه الغموض بسبب العودة للماضى وخَلْط الديانات القديمة بالحديثة ، وبسبب اعتمادهم على السحر ، وما يميز السحر من الغموض ، وعدم الوضوح . بالإضافة لتقديسهم للطيور والحيوانات مما جعل كثيرًا من المؤرخين يتحرجون من ذكر الكثير عن هذه العبادات .

وقد أثرت البيئة سواء السياسية أو الطبيعية على الديانة المصرية القديمة ، فانقسام مصر إلى العديد من الأقاليم نتج عنه اتجاه المصريين للتعدد فى بداية حياتهم الدينية ، وبعد أن تمَّ توحيد البلاد بدأت تظهر ملامح التوحيد فى الديانة المصرية القديمة .

---

(١) لمزيد من البحث والدراسة عن الديانة المصرية القديمة انظر : جيمس برستيد : فجر الضمير ، وانظر أدولف إرمان ، الديانة المصرية القديمة .

كما أثرت البيئة الطبيعية على الدين ، فوجود النيل والخصوبة ، وسطوع الشمس طول العام ، جعل المصرى يقدس النيل ، وجعل الشمس مركزًا كبيرًا للعبادة . فعُبدت فى معظم مراحل التاريخ المصرى ، حتى عندما لجأ المصرى لعملية التوحيد ، فى عهد إخناتون اتجه إلى اختزال كل معلوماته فى قرص الشمس والذى أسماه آتون .

ولقد مرَّت الديانة المصرية القديمة بعدة أطوار من مرحلة التعدد إلى مرحلة الترجيح والاختيار ، ثم مرحلة التوحيد فى عهد إخناتون، ثم العودة للتعدد مرة ثانية.

وقد ظهرت ملامح الديانة المصرية القديمة ، منذ بداية عصر المعادن ، حيث وجدت عبادة الحيوان فى المقابر التى تعود إلى عصر البدارى ، وهى حيوانات من آوى ، والثيران ، والكباش ، والغزلان . كما وُجدت فى هذه المقابر تعاويذ مصنوعة من العظم تمثل رؤوسَ غزلان ، وجاموس بحر . كما كان الإنسان فى هذا العصر ، يؤمن بالبعث والخلود ، حيث وجدت فى مقابر البدارى أدوات زينة ، وآنية مما يستخدمه الإنسان فى حياته مدفونة معه .

وعندما بدأ الإنسان المصرى فى النزول للوادى ، وتكونت المقاطعات الإدارية وهى اثنتان وعشرون مقاطعة ، والوجه القبلى عشرون مقاطعة . كان لكل مقاطعة إله خاص بها ويسمى (نب) . وبجانب هذا الإله الخاص بالمقاطعة وجدت آلهة ثانوية كانوا يعبدونها ، وكانت أسماء المعبودات المصرية القديمة نشأت غالبًا من أسماء المدن التى تُعبد فيها .

ومن أشهر المعبودات المصرية فى مرحلة التعدد هى رع ، وكان يُعبد فى هليوبوليس وعين شمس ، وبتاح ويُعبد فى مدينة منف . وأنوبيس فى أسيوط ، وحتحور فى مدينة دندرة، وأزوريس فى أبيدوس والعرابة المدفونة. وخنوم فى أسوان. وحورس فى إدفو .

وبعد توحيد المملكتين ظهرت مرحلة الترجيح والتغليب ، وخصوصًا فى عهد الدولة القديمة ، وأصبح رع هو المعبود المفضَّل لملوك هذه الدولة ، وطبقة النبلاء الذين كانوا يفضلونه أيضًا ، ولذلك نجد أنهم أضافوا إلى معبوداتهم القديمة لفظ رع مثل (خنوم رع) (آمون رع) .

أما فى مرحلة التوحيد والتى بدأت فى عهد الدولة الحديثة ، فقد استمرت عبادة الشمس ، والتى كانت ممثلة فى رع . وإنْ تغير رسم صورتها كما كانت تُرسم فى الماضى بصورة إنسان برأس صقر ، إلى صورة الشمس نفسها ، حيث تخرج منها أيدٍ ، ومعناه أن الشمس تعطى الإنسانَ الحياة .

وقد قاد هذه الثورة الدينية إخناتون ، وتميزت عقيدة التوحيد الجديدة والتى مُثِّلت بقرص الشمس ، فقد كانت تتجه إلى الاعتقاد بالتوحيد ، وأنه يوجد إله واحد ليس له شريك ، وخلق نفسه بنفسه . كما أن المعبود الجديد والممثّل فى قرص الشمس لم تكن له صفات مشتركة مع الصور القديمة لآمون .

وقد كانت إقامة الشعائر تسير طبقًا لطقوس ، وهى تبدأ من قيام الكاهن عند انبثاق الفجر ، إلى قدس الأقداس ، ويقوم بتبخيره ، حتى يمتلئ بالبخور ، ثم يقترب من المحراب ويفتحه ، ويحيي الإله بالركوع عدة مرات ، وبترتيل وتلاوة الأناشيد .

ثم يأخذ فى التزيين اليومى للإله ، وينضح التمثال بأربعة جرار من الماء ، ويقوم بكسوته بشرائط كتان أبيض ، وأخضر ، وأحمر ثم يدهن التمثال بالزيت ، ثم يضع أمامه مختلف الأطعمة والشراب من خبز وأوز وزهور ، وفى كل مرحلة من هذه المراحل يتم إنشاد التراتيل .

وقد كانوا يضعون شروطًا للطهارة لمن يحضر هذه الطقوس ، حيث يجب مراعاة قواعد النظافة ، ويُراعى الأطعمة المنصوص عليها فى شريعتهم ، واجتناب الخطايا ، وأن يكون الشخص مختونًا ، أما قائمة الأطعمة المحرمة فهى لحوم الماشية ، والأسماك .

وبجانب هذه الشعائر والطقوس نجد أنه كانت هناك احتفالات دينية متعددة ، ففى كل مدينة عيد ، وكانت هذه الأعياد تجد اهتمامًا خاصًا ، وكانت إجراءات الاحتفالات تتم كالتالى : يُضاء المعبد ويُزخرف ، ثم تُقدم القرابين ، ثم يُزيَّن تمثال معبودهم بالتمائم ، وقلائد الزمن .

وكانت المحاريب عبارة عن شكل قارب ، ثم يخرج التمثال وأمامه أعلام مُزيّنة بصور لبنات آوى ، التى تعتبر بمثابة فاتح الطريق ، كما ترافق التمثال تماثيل للملك .

وقد كان لطبقة رجال الدين أهمية كبيرة فى حياة المصريين ، فقد كان المصريون يُقدِّرون رجال الدين ، ويحترمونهم ويقدمون لهم الهدايا فى المناسبات وغيرها ، وقد انقسم رجال الدين إلى قسمين ، وهم رجال دين يعملون بصفة دائمة ، ورجال دين يعملون بصفة مؤقتة .

فالذين يعملون بصفة دائمة يُسمون خدم الإله ، والآخرون يسمون (خرحب) ومعناها العلماء ، وكُتَّاب كتاب الإله وهم الذين يختارون اسم الطفل الملكى ، ويقومون أثناء الاحتفالات بتلاوة الصيغ القديمة ، ويعرفون أسرار السحر .

وكان رجال الدين ينقسمون طبقيًا إلى كهنة (وعب) وهم فى أسفل السلم الكهنوتى ، وطبقة عليا وهم (أب الإله). أما أعلى طبقة فهو كبير الكهان . والملاحظ أيضًا أن النساء كُن يعملن كاهنات ، وخصوصًا فى معبد حتحور .

وقد تميزتْ الديانة المصرية القديمة بخصائص عديدة ، منها الاعتقاد فى البعث والخلود ، وهذا الاعتقاد جعلهم يهتمون ببناء المقابر بالأحجار لتظل صامدة على مَرِّ العصور ، وجعلهم يهتمون بعلم التحنيط حتى يحتفظوا بجثة الإنسان سليمة لكى تتعرف عليها الروح (كا) . وقد توصَّلوا لمعرفة فكرة البعث والخلود عن طريق مراقبتهم لحركة الشمس ، فالشمس حين تشرق تعتبر بمثابة بعث ، وعندما تغيب كأنها تموت ، وهكذا يعتبرون مولد الإنسان كانبعاث الشمس وموته مثل غروبها ، وبعثه مثل انبعاثها من جديد .

والخاصية الثانية التى ميزت الديانة المصرية القديمة هى الإيمان بالثواب والعقاب ، ولذلك كانوا يقولون : إن هناك محكمة للموتى برئاسة أزوريس وعضوية أربعة وأربعين قاضٍ مهمتهم محاكمة الميت ، حيث يتم وزن القلب فى ميزان تمسكه (ماعت) فإذا كان قلب الميت ثقيلاً هوى به إلى الجحيم .

وقد ارتبطت بالديانة المصرية القديمة أسطورة إيزيس وأزوريس ، وهى قصة تحكى عن الصراع بين الخير والشر ، فقد كان الخير ممثلاً فى إيزيس وأزوريس ، بينما مُثِّل الشر فى ست ونفتيس . ويخرج القارئ من هذه القصة بمفهوم خلقى ، وهو انتصار الخير على الشر .

وتحكى القصة عن الصراع الذى دار بين الأخوين أزوريس وست بسبب التفاف الشعب حول أزوريس وكراهيتهم لست الشرير مما أثار حفيظة ست ، فقرر الانتقام من أخيه عن طريق تدبير مؤامرة ، وهى قيامه بدعوة لحفلة عامة ، دعا فيها جميع من يعرفهم .

وفى أثناء الحفل عرض تابوتًا كهدية لمن يكون التابوت ملائمًا لجسمه ، وعندما بدأ الحضور قياس التابوت على أجسامهم لم يسعهم لأنه فى الأصل مصمم على أن يلائم جسد أوزوريس .

وعندما حان موعد أوزوريس لقياس التابوت ، ودخل فيه أمر ست الخدم بأن يقوموا بغلق التابوت على جسد أوزوريس ، وإلقائه فى البحر ، والذى حملت أمواجه الجثة إلى بلاد جبيل فى لبنان، فبدأت إيزيس رحلة البحث عن التابوت، حتى وجدته، وأخرجتْ منه أوزوريس ، وعندما أخرجته عادت به إلى مصر مرة ثانية . وعندما سمع ست الشرير بعودة أوزوريس أمر بالقبض عليه ، وقتله . ثم قام بتقطيع جسده إلى اثنتين وأربعين قطعة . وقد عاش ست فترة كبيرة حتى تمكن حوريس ابن أوزوريس من قتله ، وتخليص العالم من شره .

الديانة المصرية فى عهد البطالمة والرومان :

استمر العصر البطلمى والرومانى فى مصر زهاء خمسمائة عام ، حدثت خلالها تطورات كثيرة فى الديانة المصرية القديمة ، وشهدتْ خلاله علاقات ربطت رجال الدين بالسلطة الزمنية . وبدأت ملامح هذه المودة عندما زار الإسكندر واحة آمون ، وقدَّم القرابين لآمون ، فسماه الكهنة ابن آمون .

وقد سار على نهجه حكام البطالمة فى مصر الذين أولوْا الديانة المصرية القديمة اهتماماتهم ، فقد قاموا بتشييد معابد مثل دندرة ، وإدفو ، وفيلة ، وكوم أمبو . وكانت معظم تكاليف هذه المعابد على نفقتهم الخاصة التى كانت تُدفع كهبات ملكية لا تُرد.

وقد قدَّر المصريون هذه الأعمال التى قام بها البطالمة تقديرًا كبيرًا ، فأقاموا النصب تخليدًا لذكرى بطليموس الثانى ، عندما زار معبد منديس بالدلتا . وأحيانًا كانوا يدَّعون ألوهية الملوك الذين ساعدوهم فى إنشاء المعابد ، مثلما حدث فى الإسكندرية عام ٢٣٨ ق. م ، ففى مناسبة عيد ميلاد الملك اجتمع الكهنة وقرروا تأليه بطليموس الثانى وزوجته .

وكانت أهم الأعمال التى قام بها بطليموس الثانى فى نظرهم هى العناية بالمعابد وتقديس الحيوانات التى كانوا يقدسونها ، ورد المنهوبات مثل التماثيل التى نُهبت من المعابد أثناء غزوات البرابرة ، وربما يُقصد بهم الفرس ، كما كان من المسوغات أيضًا قيام بطليموس هذا بتوفير السلام والأمن لسكان البلاد .

ومن مظاهر التطور الذى حدث فى الديانة المصرية القديمة إدخال عبادة سيرابيس ، والذى حاول البطالمة التقريب بينه وبين أوزوريس ، بل ادعوا أن اسم سيرابيس هو اسم أوزوريس بالإغريقية . وقد أمر البطالمة بإنشاء معبد خاص ، وهو السيرابيوم لعبادة سيرابيس .

كما اهتم البطالمة بثيران أبيس ، والذى كان دَفْنُها يتم طبقًا لإجراءات واحتفالات كبيرة ، وقد كانت هذه الاحتفالات تكلف الخزانة كثيرًا ، وكانت قواعد الدفن تسير كالآتى ، يُخصص خمسة كهنة لتحنيط جثة الثور ويلفون أعضاء الثور بلفائف ، ويحشو بعض الأعضاء مثل الرأس ، والفم ، والعينين ، والأنف بالأخشاب المعطرة ، ومواد التحنيط مثل ملح النطرون ، وخشب الصندل . وكان يتم تغطية القرنين ، وتمد الساقين ويغسل تجويف البطن ، ويُحشى بالمواد التى تُحنط بها الجثة أيضًا .

وبعد إجراء عملية التحنيط تبدأ شعائر الجنازة ، فتُوسَّدُ الجثة على النعش داخل التابوت ، ثم تُوضع فى زورق يعبر بها البحيرة ، ويتلى عليها النصوص . وتستمر هذه الاحتفالات مدة سبعين يومًا .

وقد تميزت الديانة المصرية القديمة فى عهد الإغريق والرومان ببعدها عن الديانة التى كانت سائدة فى عهد الفراعنة من حيث الشكل والمضمون، حيث اتجهت

لأسلوب البساطة نتيجة لدمج المعبودات مع بعضهم البعض ، ومن حيث الشكل حيث ظهرتْ تماثيل المعبودات المصرية القديمة ، وهى ترتدى ملابس إغريقية ، ويغلب عليها شكل المحاربين .

وقد حاول الرومان إدخال معبوداتهم إلى مصر مثل جوبيتر ، وروما ، ولكن لم تحظ هذه الديانة بأتباع كثيرين ، بل على العكس أثقلت نفقات الاحتفال بها كاهل المصريين ، نظرًا لأنهم كانوا يتحملون أيضًا نفقات الاحتفالات التى تُقام تكريمًا للامبراطور والامبراطورة .

أما عن المعابد فقد انقسمت حسب مواردها إلى معابد منتجة تعتمد على ما تنتجه من الكتان ، والزيوت . كما كانت تنشأ المصانع الخاصة بإنتاج الجعة ، وأيضًا المخابز لسدِّ نفقات المعبد ، وبيع الفائض . أما المعابد التى لا تقوم بالإنتاج فقد عاشت فقيرة . وكان الكهنة يتقاضون منها مرتبًا لا يكاد يقيم أَوْدهم ، ومعظم النفقات كانت تخصص للإنفاق على تماثيل معبوداتهم ، وكانت أوجه الصرف هى شراء أثواب الكتان لكسوة التماثيل .

وقد زاد فى العهد الرومانى انقسام الكهان إلى طبقات متباينة وهى الكهنة الأعلون وهم رؤساء الكهنة ، وكان لهم حق حمل تمثال معبودهم ، ثم طبقة أخرى كان اختصاصها إلباس التماثيل الملابس ، أما الطبقة الدنيا من الكهان مثل حَمَلة الناموس فكان محرمًا عليهم تسمية أنفسهم بالكهنة .

وقد كان يتم تعيين الكهنة طبقًا لشروط كان يحددها مجلس الطوائف الخمس ، وهذه الشروط هى : أن يجيد معرفة الكتابات المصرية الثلاث ، وهى الهيروغليفية ، والهيروطيقية ، والديموطيقية . كما يجب أن يكون ضليعًا فى دراسة الكتب المقدسة ، بالإضافة للتحلى بالأخلاق الفاضلة ، وأن يكون عذب الصوت ، ولا يرفع صوته أثناء الكلام مع أحد ، ولا يتعجل فى مشيته .

ومن ناحية الاعتقاد بالبعث والخلود ، تغيرت أفكار محكمة الموتى ، فبدلاً من أوزوريس الذى كان يرأس المحكمة فى عصر الفراعنة تغير وأصبح سيرابيس فى

العهد الإغريقى البطلمى ، وبلوتو فى عهد الرومان ، أما وازن قلب الموتى فتحول إلى هرمس .

حتى عملية دفن الموتى أصبحت فى العصر الإغريقى والرومانى عملية تجارية بحتة ، وأصبحت عملية شكلية ، وأصبحت عملية الدفن عملية باهظة الثمن ، والسبب الذى أدى لارتفاع أسعار الدفن هو طول فترة التحنيط ، وفرض ضريبة على اللفائف المخصصة للتحنيط ، وفرض مكوس على نقل الجثث .

أما مَنْ يقومون بعملية الدفن ، فقد انقسموا إلى طبقتين ، وهما طبقة التاريخيتين، وهم الذين يقومون بالتحنيط ، وطبقة الكواخينيين ، وهم الذين يتعهدون برعاية الخدمة للجنازة .

طريقة الدفن وظهور الفن المسمى بوجوه الفيوم :

تغيرت طريقة بناء المقابر فى العصر البطلمى والرومانى عما كان سائدًا فى مصر القديمة ، وأصبح الموتى يُدفنون فى حُفر أو آبار ، أو مقابر جماعية . كما كانت الموميات الفقيرة لا تدفن فى توابيت ، وإنما تشد إلى ألواح الخشب ، أو جذوع النخيل لكى تتماسك . أما موميات الأغنياء فكانت تُدفن فى توابيت جميلة فكان قناع الرأس مصنوعًا من الذهب ، وكانت ملامح صاحب المومياء تُصَوَّر على الخشب أو جزء من كفن الميت ، ثم تُوضع الصورة فوق وجه الجثة ، وأحيانًا كانت تُصَوَّر الجثة كاملة فوق القناع .

وقد انتهت الديانة المصرية القديمة بعد دخول المسيحية إلى مصر ، فقد قام الوعاظ المسيحيون بتدمير المعابد الوثنية ، ومن أشهر المعابد التى دمرت معبد سيرابيس عام ٣٩١ ميلادية ، ومعبد أتريب . وقد تحولت معظم هذه المعابد إلى كنائس ، وتُرِك الكثير منها خرابًا . حتى المعبودات الفرعونية القديمة أصبحت بمثابة أشباح ، وأصبحت فى نظر المصريين مجرد أرواح شريرة ، وأصبحت الديانة المصرية القديمة لا تجد لها منفذًا إلا فى المشعوذين والسحرة الذين استخدموا السحر والتعاويذ الفرعونية .

٢ ـ اللغة المصرية القديمة[١]

اللغة هى وعاء الفكر ، وهى الوسيط بين المرسل والمرسل إليه ، ولذلك تأتى أهمية دراسة اللغة المصرية القديمة ، والتى تساعدنا على فهم كثير من غوامض الحضارة المصرية القديمة .

تنتمى اللغة المصرية القديمة إلى إحدى فروع اللغات السامية ، وهى اللغة الحامية ، وتتميز اللغة المصرية بعدة خصائص وهى أنها تحتوى على ثلاثمائة أصل مشترك بينها وبين اللغات السامية ، وأكثر من مائة أصل مشترك بينها وبين لغات شمال إفريقيا ، كما أنها تحتوى على عشرين ألف كلمة .

كما أن من خصائصها أيضًا أنها تتكون من الأسماء ، والجمادات ، أما الأفكار المتجردة فكانت قليلة ، وأيضًا يضاف إلى خصائصها أنها استمرت ما يقرب من خمسة آلاف عام ، وهذا زمن طويل فى عمر اللغات . وآخر المميزات لها أنها لم تكُنْ جامدة ، بل تفاعلت مع اللغات الأخرى ، وأخذت من اللغات الأجنبية الألفاظ التى لم تكُنْ معروفة فى اللغة المصرية مثل لفظ : العربة ، الحصان .

وتنقسم اللغة المصرية طبقًا لتطورها إلى ثلاثة أقسام وهى اللغة الهيروغليفية ، ومعناها : النقش المقدس ، وكان يُكتب بها على المقابر ، والمعابد ويُجيدها الكهنة . والقسم الثانى هى اللغة الهيروطيقية ومعناها الخط المقدس ، وكان يُكتب بها على أوراق البردى .

أما القسم الأخير فهو اللغة الديموطيقية ، ومعناها : الخط الشعبى ، ويستخدم فى كافة مناحى الحياة اليومية مثل كتابة العقود ، والتعليم . ثم تطورتْ اللغة المصرية القديمة فى عهد البطالمة ، حيث دخلتها ألفاظ يونانية وأصبحت تُكتب بالحروف اليونانية ، ومن ثمَّ ظهرت اللغة القبطية ، والتى تستخدم فى الكنائس حتى الآن .

---

(١) لمزيد من التفصيل انظر كتاب: جورج بوزنر : معجم الحضارة المصرية القديمة . وكتاب سليم حسن: مصر القديمة . جـ ١ .

وقد انتهت اللغة الهيروغليفية فى القرن الرابع الميلادى ، بعد القضاء على الديانة الوثنية ، وكان أمرًا طبيعيًا أن تختفى هذه اللغة نظرًا لتدهور طبقة الكهنة ، وهم الذين كانوا يجيدون هذه اللغة . أما بالنسبة للغة الهيروطيقية فقضى عليها فى عهد البطالمة ، وبالنسبة للغة القبطية فقد ظلتْ متداولة فى الوجه القبلى فى الصلوات والمدارس إلى أواخر القرن السابع عشر الميلادى ، وانحصرتْ الآن فى الكنائس فقط .

وقد ظلت اللغة المصرية القديمة مجهولة فترة كبيرة من الزمن حتى استطاع شامبليون الفرنسى فكَّ رموز حجر رشيد ، ولكن شامبليون لم يكُنْ الأول فيمن حاول فك رموز اللغة المصرية القديمة وإنما سبقه مجموعة مِن العلماء منهم (سلفستر دى ساسى) الذى حاول فكَّ رموز الحجر فى عام ١٨٠٢م ، ولكن لم يستطع فكَّ أى اسم سوى اسم (بطليموس) . كما حاول (توماس يانج) فى عام ١٨١٤م أن يفك رموز حجر رشيد ، ولكنه توصل إلى معرفة بعض الحروف دون معرفة صوتياتها .

أما جهود شامبليون فلم تبدأ من فراغ ، وإنما اعتمد على دراسات دى ساسى وتوماس يانج . وتوصل منهما أن أسماء الحكام البطالمة يجب أن تُكتب بالهيروغليفية . وأول شىء توصَّل إليه هو أن اللغة المصرية القديمة واحدة وإن اختلفت فى الخطوط. كما عرف أن أسماء الملوك توضع دائمًا فى خراطيش ، واستطاع بمقارنة النص القبطى واليونانى مع النص الفرعونى أن يعرف أسماء الملوك ، وبالتالى عرف كثيرًا من الحروف .

وقد توصل شامبليون إلى أن اللغة المصرية تعتمد على إشارات تصويرية مثل رع، وتحوت . وإشارات صوتية تتكون من حروف ، وقد وضع شامبليون قاموسًا للغة المصرية القديمة ، ووضع لها قواعد نحوية .

واللغة المصرية القديمة تستخدم فى نظام الأفعال تركيبين ، كما أن الضمائر بها كثيرة ، وبها تمييز بين المذكر والمؤنث . فيضاف للمؤنث حرف (الثاء) إلى آخر المذكر ، فيصبح مؤنثًا مثل (سا - ابن) (ساث - بنت) .

ولكى نوضح فكرة اللغة المصرية القديمة عند استخدامها للإشارة الرمزية ، والإشارة الصوتية يمكن أن تتضح من الصورة التالية :

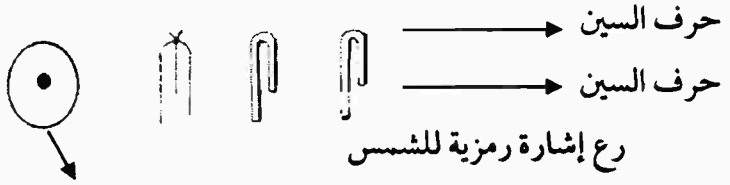

رع إشارة رمزية للشمس

تدل على الولادة وترمز أيضًا لحرف السين

ولو رتبنا الكلمات من اليسار لليمين سنجد الآتى :

رع يلد (مس) س س لأن كلمة يلد بالهيروغليفية معناها مس فتصبح الكلمة كالآتى : الذى يلده رع . أى : الذى أبوه رع وتصبح رعمسيس (وهو المعروف باسم رمسيس) .

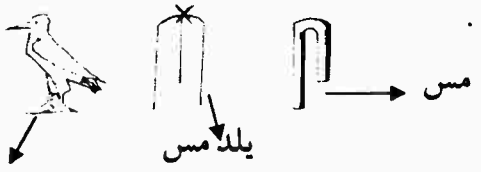

طائر أبو منجل ويرمز لتحوت

وبتطبيق القاعدة السابقة (تحوت مس س) تحتمس .

٣ ـ النظام السياسى عند قدماء المصريين

تُعتبر مصر أول دولة فى العالم ، عرفت نظام الدولة المركزية المستقرة ، وهى أول من وضع نظامًا حكوميًّا قائمًا على عناصر معروفة ذات اختصاصات محددة ، وكان الغرض لظهور النظام المركزى فى مصر هو محاولة تنظيم مياه النهر ، وتوزيعه ، وضبطه[1] .

وقد تكوَّن نظام الحكم فى مصر من عدة عناصر وهى : فى القمة يتربع فرعون ويعاونه الوزير ، ثم حكام الأقاليم ، وطبقة الكتبة والموظفين ، وفيما يلى عرض لهذه العناصر :

(١) عن النظام الإدارى انظر كتاب سير فلندرز : الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة، الهيئة العامة للكتاب . وانظر ت. ج. جيز : الحياة أيام الفراعنة . الهيئة العامة للكتاب .

أولاً : فرعون :

كان المصريون ينظرون إلى فرعون ، نظرة تقديس وإجلال ، على اعتبار أنه فى نظرهم كان يعتبر ابن الإله ، ولذلك أحكامه لا ترد ، ولا تُناقش . وكانوا يعتبرون أن مشيئته لا ترد ، وأن الشعائر والطقوس الدينية وضعت له ، وفى نظرهم هو الكاهن الأعظم ، أما بقية الكهنة فهم ممثلون له .

ويعتقدون أيضًا أن الطقوس تُقدَّم له بصفة ابن من أبناء الآلهة التى كانوا يعبدونها ، كما أنه فى نظرهم فى العالم الآخر يعيش فى قصر منفرد ، وهو الوحيد القادر على الاتصال بمعبوداتهم ، ولذلك نجد أن النقوش على المعابد توضح قيام فرعون وحده بالطقوس والصلوات .

وقد أطلق المصريون على فرعون عدة ألقاب ، وهى بمجرد اعتلائه العرش كان يُسمى (حور) . ولقب العقاب والصل (نوع من الثعابين) وهما رمزان لمملكة الوجه البحرى (الصل) ومملكة الوجه القبلى (العقاب) .

أما لفظ فرعون فقد ظهر متأخرًا ، ومعناه فى اللغة المصرية القديمة (البيت الكبير) بمعنى كبير الأسرة . وهو لقب ولم يكُنْ اسمًا كما كان يعتقد كثير من الناس ، ومن ألقابه أيضًا : ابن الشمس .

أما وظائف فرعون الدنيوية فهى قيادة الجيوش فى المعارك ، والإشراف على أعمال المناجم والمحاجر ، والإشراف على الكهنة ، وتلقى التقارير من الوزير ، وإعطاء الأوامر لحكام الأقاليم .

ثانيًا : الوزير :

كان منصبًا هامًا فى حياة قدماء المصريين ، ولذلك كان معظم الوزراء من أفراد الأسرة المالكة ، أما اختصاصاته الوظيفية فهى الإشراف على أعمال القضاة ، وكتابة التقارير لفرعون ، والإشراف على أعمال حكام الأقاليم . وكان يعتبر (إرادة السيد ، وعينىْ الملك وأذنيه) . كما كان من اختصاصاته رئاسة الإدارة المركزية ، وهى إدارة الغلال ، والسجلات والخزانة ، والأشغال العامة .

وقد ظهر منصب الوزير فى عهد الدولة القديمة ، فى عصر سنفرو ، وفى بعض فترات الضعف كان هناك وزيران : وزير للوجه القبلى ، ووزير للوجه البحرى ، وكان الوزير قبل تعيينه لابد أن يخضع لشروط هى : العلم ، والحكمة ، والطهارة ، والعفة .

وكان الوزير يبدأ عمله اليومى ، بالذهاب للملك فى كلِّ صباح لتلقى التعليمات ، ثم يحضر المؤتمرات ، ويفحص التقارير ، ويرسل المراسلات ، ويعقد الجلسات ويشرف على رحلات الملك سواء للصيد أو غيرها .

كما كان الوزير يشارك فى الاحتفالات طبقًا لبروتوكول معين ، فيعلق على صدره تمثالاً صغيرًا لماعت (إلهة العدل عند قدماء المصريين) حيث إنه مسئول عن العدالة والإدارة الحكومية ، والتى يجب أنْ يُسيِّرها بالعدل .

ومن أشهر الوزراء فى عصر الفراعنة أمحوتب ، وإنْ كان لم يطلق عليه لقب وزير ، لأن المنصب لم يكن معروفًا ، لكنه كان يقوم بعمل أشبه بعمل الوزير ، ومن الوزراء أيضًا بتاح حوتب . وميرا . ورخميرع . ورع موسى .

ثالثًا : حكام الأقاليم :

كانت مصر مقسمة لما يقرب من أربعين إقليمًا ، وكان على رأس كل إقليم حاكم تحددت وظائفه بالإشراف على حفظ الأمن ، وجمع الضرائب ، وكتابة التقارير للوزير ، وكان يعاونه فى ذلك مجموعة من الكتبة الموظفين ، وقد كانت لهم أحيانًا سطوة كبيرة على الأقاليم ، كما كانوا يقودون الثورات أحيانًا .

رابعًا : الكتبة :

كانت مهنة الكاتب ، تعتبر من أكثر المهن تشريفًا فى مصر القديمة ، وكانت هذه الوظيفة تعتبر مطمحًا لكثير من أبناء الطبقات العليا والمتوسطة فى مصر . وكان الآباء ينصحون أبناءهم باحتراف هذه المهنة نظرًا لأهميتها .

وتأتى أهمية هذه المهنة فى دولة لعبت فيها السجلات ، دورًا كبيرًا فى حياة الأشخاص ، فقد كان الكاتب هو الذى يفرض الضرائب على مصر العليا والسفلى .

فهو الذى يُسجلها أيضًا ، ويمسك حسابها ، ويقوم بدور الحاجِب والسكرتير للحكام ، وبلغ من شرف هذه المهنة أن معظم الأمراء كانوا يتخذون لأنفسهم تماثيل تمثلهم وهم كتبة .

وقد أعطيت عدة امتيازات لهذه الوظيفة ، وهى الإعفاء من الضرائب والإعفاء من السخرة ، كما كانت مريحة فى معظم حالاتها ، والوصايا التى كانت تُقدَّم للكاتب تثبت ذلك ، منها (كُنْ كاتبًا كى تصير أعضاؤك ناعمة ، وتصير يداك رخصتين ، وتسير فى ثياب بيضاء فيعجب بك الناسُ ، ويحييك رجالُ البلاط ، تنادى شخصًا فيلبى نداءك الألوف ، وتسير حرًّا فى الطريق) .

خامسًا : الجيش :

لم يكُنْ المصريون من الشعوب التى احترفت الجندية ، لأن أرض مصر الغنية كانت توفر لهم كل الإمكانيات التى كانت تجعل غيرهم يقوم بالاعتداء على الآخرين ، بالإضافة لوجود الصحراء والتى أصبحت بمثابة حصون تقى مصر من الغزوات .

ولكن بعد غزو الهكسوس لمصر فى العصر المتوسط الثانى ، أدرك المصريون مدى أهمية الجيش كوسيلة للوقاية من الغزوات ، وكضمان لحماية الامبراطورية المترامية الأطراف ، وبدأ هذا الاهتمام فى عصر الدولة الحديثة ، وإنْ كانت قد سبقتها محاولات فى عهد الدولة القديمة لجمع الرجال المدربين لصدِّ غزوات البدو . بينما الشرطة والحرس الملكى كانت تكلَّف بأعمال عامة مثل الأشغال ، كحفر القنوات ، وأيضًا كانوا يعملون فى التجارة ، وإرهاب الدول الأجنبية .

أما فى عهد الدولة الحديثة فقد أصبح الجيش أكثر نظامًا وخبرة ، وتدريبًا ، ويتكون من فرق أشهرها فرقة المشاة ، حيث تتكون كل فرقة مشاة من مائتى جندى ، يعملون تحت إمرة حامل لواء ، ثم تُقسَّم كل فرقة لأقسام كل قسم خمسون جنديًا . وتُسمّى أقسام الفرقة بأسماء الملوك ، والشخصيات المشهورة مثل : أمنحوتب ورمسيس ، وقد قسِّم الجيشُ لأربع فرق تحمل أسماء المعبودات مثل : رع ، آمون ، وبتاح ، وست .

أما القسم الثانى من الجيش فيتكون من راكبى العجلات الحربية ، وكان ضباطه يُعطوْنَ درجة كُتَّاب ملكيين ، أما طريقة حرب العجلات الحربية فكانت عن طريق تكوين مجموعات صغيرة العدد ، وبمساعدة من المشاة .

أما عن عناصر الجيش فيتكون من المصريين المحترفين للجندية ، والأسرى والجنود المرتزقة من النوبيين ، والبدو ، والليبيين ، والذين عملوا بالبحرية وكانوا يُسمُّونهم (شردن) .

وقد عرف المصريون فَنَّ القتال البحرى ، وكوَّنوا أساطيل لمحاربة أعدائهم وأساطيل للعمل بالتجارة ، وقد خاض المصريون معركة بحرية فى عهد رمسيس الثالث ضد شعوب البحر المتوسط ، وانتصر عليهم ، واعتبرت أول معركة بحرية فى تاريخ العالم .

٤ ـ الحياة الاقتصادية

أولاً : الزراعة :

اهتم المصريون بالزراعة ، واتخذوها حرفة عمل بها كثير منهم ، وكان السبب فى توجههم الزراعى هو خصوبة تربة مصر ، ووجود نهر النيل ، والذى يتميز بانتظام جريانه معظم أيام السنة ، بالإضافة لتنوع المناخ المصرى واعتداله والذى ساعد على تنوع المحاصيل .

وقد استطاع المصرى القديم ترويض نهر النيل عن طريق إقامة الجسور والمقاييس لقياس مياه النهر ، وعن طريق شقه القنوات والترع .

أما أشهر المحاصيل التى كان يزرعها المصرى القديم فهى مجموعة البقوليات وتتكون من (الفول ، العدس) . ومجموعة الخضروات (البصل ، الخس ، الكرات) ومجموعة الفاكهة (التين - النبق - العنب - الرمان) . ومجموعة محاصيل زيتية (السمسم والخروع) . ومجموعة الألياف (الكتان) . وبعض الزهور مثل (اللبلاب ، السوسن والحبوب والقمح ، والشعير) .

وكانت طريقة الزراعة تتم عبر مراحل ، وهى حرث الأرض بمحراث خشبى ، والغرض منه تهوية التربة ، ثم نقسم الأرض لخطوط ، ويتم وضع البذور ثم يؤتى بالماشية لكى تدوس تلك البذور بحوافرها وتدفنها فى الرمال ، وعندما يحين ميعاد الفيضان يتم تقسيم الأرض إلى أحواض تغمرها المياه ، ثم بعد انحسار المياه يحين ميعاد النبات والحصاد .

وقد نظَّم المصرى السنة الزراعية ، وقسَّمها لمواسم ، وهى موسم الفيضان ، ويبدأ من منتصف يوليو حتى منتصف أغسطس ، وموسم الزرع من منتصف أغسطس حتى منتصف يناير ، وموسم الحصاد من منتصف يناير حتى ميعاد الفيضان الجديد ، وكانت حساباتهم دقيقة جدًا وإلى الآن ما زال الفلاح المصرى يستخدم التوقيت والشهور الفرعونية ، وهى المعروفة بالقبطية مثل أمشير ، طوبة ، بشنس ، برمهات ، بؤونة . وقد ارتبط كل شهر بنوع من المحاصيل : شهر بؤونة ارتبط بالعنب ، وبرمهات بالبلح ، وأمشير بالشعير .

كما اهتم المصرى بالثروة الحيوانية ، فكان يربى الطيور فى منزله ، ويربى الأبقار والخنازير . وكانت البقرة تمثل شيئًا هامًا فى حياة المزارع المصرى حيث تُساعده فى أعمال الحقل ، ويحصل منها على غذائه ، ولذلك قُدِّست البقرة ، وكانت تسمى حتحور لأنها ترمز للخصوبة والأمومة .

وارتبط أيضًا بالزراعة عملية صيد الأسماك ، والتى انقسمت بدورها إلى : صيد معاشى كان الغرض منه سدّ حاجة المرء الغذائية ، وصيد تجارى للتجارة ، وأهم الأسماك التى كان يصطادها المصرى هى السردين ، ويؤكل مملحًا . وكان يستخدم أدوات صيد عبارة عن الشِّص ، والشِّباك .

ثانيًا : الصناعة :

عُرِفت الصناعة فى مصر القديمة منذ العصر الحجرى القديم ، حيث تمكن الإنسان من صناعة أدواته من الحجر ، ولكن الصناعة بمفهومها الحديث ، بدأت تُعرف فى عصر استخدام المعادن ، حيث استطاع المصرى القديم أن يخلط الذهب بالفضة .

وقد كانت الفضة أغلى قيمة من الذهب نظرًا لندرتها ، وقد بلغ عدد المعادن التى كان يعرفها قدماء المصريين ، عشرة أنواع من المعادن ، وثمانين نوعًا مختلفًا من الأحجار والصخور ، وعلى الرغم من ذلك لم يستغلوا إلا تسعة معادن فقط .

وقد تعددت الصناعات المصرية القديمة ، وتميزت بالدقة فى الصنعة ، ومن أشهر الصناعات المصرية :

١ ـ صناعة الجلود :

تعتبر هذه الصناعة من أولى الصناعات التى عرفها قدماء المصريين ، وكانوا يستخدمون جلد الماعز . وأهم الصناعات الجلدية التى عرفها المصريون صناعة قِرَب المياه ، والنعال الخفيفة ، وأغطية المقاعد ، والسيور ، والحبال .

وكانت طريقة إعداد الجلود تتم كالآتى ، تستخدم المدى المصنوعة من المعادن فى سلخ الجلود ، وكانت قصيرة ، وعريضة ، ومستديرة الطرف حتى لا تخرق الجلد ، ثم يتم دبغه ، وقد وصلت من مصنوعاتهم الجلدية نوع من الجلود المخرمة تستخدم لتغطية الأثاث ، كما تُرتدى فوق الملابس العادية للتدفئة .

٢ ـ صناعة السِّلال :

هى صناعة أقدم من صناعة الفخار ، وقد كانت السلال تُصنع ولها أغطية شكلها مخروطى ، وقد كانت السِّلال كبيرة ومرنة فى عصر الأسرة الأولى ، ثم طُورت وأصبحت صلبة لحفظ المحاصيل الزراعية . أما المادة الخام التى تُستخدم فى صناعة السلال فهى سعف النخيل ، كما كانت بعض الأوعية والأوانى تصنع من نبات البردى وتقوى جوانبها بالبوص ، والغاب .

وتدخل ضمن صناعة السلال ، صناعة الحُصُر ، وهى صناعة معروفة منذ عصر ما قبل التاريخ ، وكانت تُستخدم للفرش فوق أرض الغرف ، ثم أصبحت تُزيَّن بها الجدران ، كما كانوا يصنعون أيضًا المراوح لاستخدامها فى التهوية ، ولمساعدة النيران على الاشتعال .

٣ ـ صناعة قائمة على ورق البردى :

نبات البردى هو نبات ينمو فى أحراش الدلتا ، وقد استخدمه المصريون فى صناعات متعددة بعد تجهيزه ليكون صالحًا للاستخدام ، ومن أشهر الصناعات القائمة عليه هى صناعة الورق ، والتى كانت تتبع خطوات معينة لصناعته ، حيث توضع طبقات من سيقان البردى الداخلية ، بعد أن يتم نزع قشورها الخارجية ، فوق بعضها البعض ، ويكون بينهما سائل رغوى ، ثم تضغط وتجفف .

وهناك طريقة أخرى سهلة التجريب وهى الإتيان بسيقان البردى ، وهى خضراء ثم تُزال القشرة ، ثم تقطع شرائح وتوضع على لوح خشب ، ثم توضع الشرائح بجوار بعضها البعض متوازية ، ثم توضع عليها شرائح بزوايا قائمة ، وتُطرق بمطرقة خشب لمدة ساعتين ثم تكبس .

واستخدم البردى أيضًا فى صناعة غرف صغيرة فوق السفن تسمى الخكر (الزينة) ، كما كان يستخدم فى صناعة الحصر ، والسلال ، والغرابيل التى كانت تستخدم فى تنقية الغلال .

٤ ـ الصناعات الخشبية :

مصر خالية من الغابات التى تنمو بها الأشجار الصالحة للصناعات الخشبية ، وقد تغلَّب المصرى القديم على هذه المشكلة عن طريق استيراد الأخشاب من بلاد فينيقيا (سورية) ، أو بلاد بونت (الصومال) . وعن طريق آخر وهو زراعة بعض الأشجار لمدد تتراوح ما بين عشر سنين ، أو عشرين سنة ، ثم تُقطَّع وتقسَّم إلى مكعبات ، يتم صناعة بعض قطع الأثاث منها .

وكانت الأدوات التى يستخدمها النجار عبارة عن مطارق صغيرة ، وسكاكين كبيرة وعريضة ، ومناشير ذات أسنان منتظمة منذ عصر الأسرة الرابعة ، ثم استخدم مطارق مصنوعة من النحاس كبيرة الحجم .

ومن أشهر الصناعات الخشبية التى وصلتنا منذ عهد الفراعنة صناعة المقاعد والأسِرَّة ، وصناعة المقاصير ، وهى عبارة عن ألواح خشبية طولها يتراوح بين ثمانية

عشر وعشرين قدمًا ، وعرضها عشر بوصات . وتُصَفّ هذه الألواح متجاورة فى وضع رأسى بعضها فوق بعض ، وتُثبَّت بأوتاد خشب توضع فى ثقوب رأسية ، حتى لا تجعل الألواح تنكمش عند ترك ثغرات فى الجدران ، وبذلك لا تتأثر ببرودة الهواء ، ولا الرطوبة .

٥ ـ صناعة الفخار :

فى عهد الأسرة الأولى بدأ يدخل فى صناعة الفخار العجلة التى يديرها بيده اليسرى ، ويُشكل الآنية بيده اليمنى ، ثم يقوم بنزعها وبصقل قاعدتها ، أما قبل ذلك فكانت تُلف فى حجرة ويتم تشكيلها ، وفى عهد الأسرة الثانية عشر ، كان الفخارى يصنع الجرار الكبرى أنصافًا منفصلة ، ثم يلصقها بعد ذلك .

٦ ـ صناعة المعادن :

كان المصرى يستخدم المعادن فى صناعة الحلى من الذهب والفضة ، كما كان يُستخدم المعدنان فى تجميل الأوانى الحجرية حيث كان يكسو حوافّها ، ومقابضها من الذهب ، وتُصنع أغطيتها من الفضة .

كما عرف المصرى استخدام النحاس منذ عصر ما قبل التاريخ ولكن زاد ، وانتشر فى عهد عصر الأُسْرات ، وكان يتم خَلْطه بمعادن أخرى لجعله أشدَّ صلابة وقوة وأخفَّ فى الوزن ، وكان يُخلط بمعادن مثل المنجنيز ، والقصدير .

أما عن الحديد فقد كان نادرًا مثل الذهب ، وقد استخدمه المصريون منذ ما قبل التاريخ ، حيث كانوا يصنعون منه حبَّات على هيئة عقود ، وفى عهد الأُسْرة التاسعة عشر زاد استعمال الحديد .

وكانت طريقة صَهْر المعادن تتم بوضع المعادن فى قوالب مفتوحة ، أو تحول بالطَّرْق إلى صفائح رقيقة ، وقد استُخدمت هذه الطريقة فى صناعة الأوانى النحاسية الرقيقة ، وكانت الرقائق النحاسية تُستخدم فى كساء التماثيل المصنوعة من الخشب عن طريق تثبيتها بمسامير مصنوعة من النحاس ، كما كانوا يصنعون من النحاس أسلاكًا وسلاسل نحاسية ، وقد استطاع المصريون أيضًا لحام المعادن بنفس مادتها .

٧ ـ صناعة الغزل والنسيج :

صناعة قديمة أيضًا عرفها قدماء المصريين ، وكانت تعتمد على الكتان كمادة خام فى المقام الأول ، وكانت عملية الغزل تؤدى باليد عن طريق مغزل شكله مخروطى يتم لف الخيوط عليه ، ثم تتم عملية النسيج باستخدام أنوال توضع فيها الخيوط بشكل أفقى ورأسى ، ويتم الدقّ عليها بمطرقة خشبية . أما النول نفسه فكان عبارة عن أربعة عوارض خشبية - أشبه بمرمى الكرة الآن - وقد تميَّز الغزل المصرى بأنه ذو أشكال دقيقة ، وبديعة .

أما عن فن الصباغة ، فقد عُرفت الصباغة فى عهد الأسرة الثانية عشر ، وكان المصريون يثبتون ألوان الزخارف عن طريق استعمال الشب ، أما عن مواد التلوين المستخدمة فهى اللون الأحمر ويُركَّب من مخلوط الهماتيت (أكسيد الحديد) والمغرة الصفراء . واللون الأصفر يصنع من المغرة .

اللون الأخضر كان يصنع من الملاخيت (التوتية) ، وكان يُستخدم فى صناعة الكحل أيضًا ، ثم استعمل بدلاً منه سلسلات الجير الخضراء ، واللون الأزرق وكان يستخدم فى صناعته كربونات النحاس الزرقاء . واللون البُنى ويصنع من المغرة . واللون الأسود ويُصنع من السِّناج (بقايا الرماد) . والرمادى ويُصنع من خلط اللونين الأبيض والأسود .. أما اللون الأخير وهو الأبيض فكان يُصنع من سلفات الجير .

٨ ـ صناعة نحت الأحجار :

كانت الأحجار تُستخدم غالبًا فى بناء المقابر ، والمعابد . وأوجه استخدامها كان فى تبليط أرضية المقابر ، وصناعة أبواب المقابر ، ثم أصبحت تستخدم فى كل المبانى .

وكانت طريقة نحت الحجر تتم باستخدام مناشير مزودة بأحجار كريمة ، كما تستخدم مثاقب مصنوعة من أنابيب النحاس وتُدار باليدين ، وكانت تستخدم فى قطع الجرانيت وتسويته . أما عن طريقة صناعة التماثيل فهى تتم عن طريق تحديد التمثال على قطعة من الصخر ، ثم تستخدم المناشير فى تسويتها وتشكيلها ، ثم يستخدم المثقاب فى عمل التجاويف العميقة ، وتُزال النتوءات بالمطارق .

وبالنسبة للمنازل فقد استخدم الطوب اللبن فى صناعتها ، وكان المصريون يقومون بحفر الأرض حفرًا عميقة ، يتم وضع الطين فيها ، ويضاف عليه بعض الرمل لوقايته من التشقق عندما يجف ، ويُخلط بالتبن ليصبح متماسكًا . ثم يؤخذ ويُعبأ فى قوالب خشبية ذات مقابض ، ويُسوى بسطح اليد . ثم يُجفَّف فى الشمس لمدة يومين أو ثلاثة أيام ، أما الملاط الذى يستخدم فى البناء فهو الطمى المخلوط بقطع الفخار الصغيرة .

والسبب الذى دعا المصريين إلى استخدام الطوب اللبن فى صناعة وبناء المنازل هو رخص المواد الخام ، وتوافرها والتى يوفرها طمى النيل ، بالإضافة إلى أن مناخ مصر يحتاج لهذا الطوب لأنه يمتص درجة الحرارة فيجعل المكان رطبًا فى الصيف .

وثالث هذه الأسباب أن المنازل فى نظر المصرى القديم كانت تعتبر بمثابة دار مؤقتة للحياة ، والدار الباقية هى المقبرة ، ولذلك نجد أن معظم المقابر نُحتت فى الصخور ، أو بُنيت من الحجارة .

ثالثًا : التجارة :

كان نتيجة تنوع الإنتاج الزراعى والصناعى فى مصر ، ووفرته أثر كبير فى تنمية وزيادة التجارة بنوعيها فى مصر سواء التجارة الداخلية والتجارة الخارجية ، ومما ترتب على هذا الازدهار التجارى يتضح لنا من خلال علاقات مصر القوية مع العالم المحيط بها فى هذا الزمان .

وأول شىء يجب معرفته عند الحديث عن التجارة هو التعرف على وحدة التعامل التى كانت تتم فى العمليات التجارية ، وكان نظام التعامل عند قدماء المصريين يتم عن طريق المقايضة ، وهى مبادلة سلعة سلعة . وكان معيار المقايضة يراعى جنس الشىء المراد مقايضته . فمثلاً مبادلة الخبز بالجعة (البيرة) تكون على مقدار الحنطة أو الشعير الذى فى كل منهما .

فقد استمرت المقايضة فى مصر إلى عهد الدولة الرومانية ، وكان السبب الذى يجعلهم يلجأون للمقايضة ، على الرغم من ظهور العملة فى العهد البطلمى هو أن

العملة غالبًا ما يعتريها التزييف على عكس مقايضة السلع ، حيث فرصة التزييف تكون منعدمة .

أما عن الموازين والمقاييس ، التى كانت تستخدم فى مصر القديمة فهى الإصبع ، وكان كل عشرين إصبعًا يساوى ٦ , ١٤ بوصة . كما استخدم الذراع فى المبانى وهو يساوى ٦ , ٢٠ بوصة . أما عن طريقة قياس الطرق فقد كان يستخدم الملاحة النهرية ورحلتها فى تقدير الطريق وتبلغ عشرين ألف ذراع . أما وحدة الطرق البرية فهى السيخيتوس وطوله ثنتا عشر ذراع . أما عن وحدة الوزن فهى النوب ويزن بمقدار ٢١٠ حبة .

أما عن العملة بمفهومها الحديث فلم تُعرف إلا فى العصر البطلمى ، وكانت تُصنع من الذهب والفضة والنحاس ، ولكنها كانت تتعرض للتزييف ، وقد هبطت قيمتها فى أواخر العصر الرومانى ، كما تحدثنا من قبل ، ومن ثمَّ الرجوع إلى طريقة المقايضة مرة ثانية .

وقد كان من نتيجة رسوخ مبادىء التجارة وأعرافها عند المصريين وتنوع الإنتاج بنوعيه الزراعى والصناعى ازدهار التجارة الداخلية والخارجية ، وكان من أبرز مظاهر هذا الازدهار هو ازدياد علاقة مصر بجيرانها ، ونشر الحضارة المصرية خارج حدود مصر .

ونحاول التحدث عن أنواع التجارة ومظاهر تطورها :

١ ـ التجارة الخارجية :

عمل المصريون بجد واجتهاد فى سبيل تنمية التجارة الخارجية ، فمن المعلوم أن التجارة تزدهر إذا وجدت وسيلة مواصلات جيدة تساعد على سرعة نقل البضائع . ولذلك قام المصريون فى عهد سنوسرت الثالث بحفر قناة تربط النيل بالبحر الأحمر والمعروفة باسم قناة (سيزوستريس) .

كما حُفرت قناة أخرى من الشلال الأول حتى البحر الأحمر ، لتنشيط التجارة مع إفريقيا ، وقد ترتب على إنشاء هذه القنوات ظهور تجمعات عمرانية مثل ميناء

عيذاب ، لتسهيل القضاء على قبائل البدو وتأديبهم ، وانتشار الحضارة المصرية فى بلاد بونت .

وكانت أهم السلع التى تصدرها مصر الحبوب والغلال والمنسوجات من الكتان ، أما السلع المستوردة فكانت عبارة عن الأخشاب من فينيقيا ، والبخور من بلاد بونت . وكانت التجارة مع بلاد بونت تستخدم أسلوب التجارة الصامتة . وكانت هذه الطريقة عبارة عن وضع السلع المراد بيعها أمام الشاطئ ، ثم يعودون للسفن . وعندما يأتى المشترون يقومون بوضع قيمة البضاعة المشتراة ، فإذا اتفق الطرفان على السعر يأخذ كلٌ واحد سلعته ، وإذا اختُلِف على السعر يترك صاحب البضاعة الثمن المختلف عليه ، فيزيد الشارى الثمن حتى يقبله صاحب البضاعة .

وبالنسبة للتجارة الداخلية ، فقد كان يُخصص لكل مكان سوق فى يوم معين من الأسبوع ، ويقوم الباعة بعرض بضائعهم . وكانت عبارة عن الغلال والمنتجات الحيوانية والملابس . أما وحدة التعامل فهى المقايضة على السلع ، وقد كان لهذه الأسواق أثر حضارى كبير ، حيث ساعدت على تعرُّف المصريين على بعضهم البعض .

وقد ساعد على رواج هذه الأسواق وجود نهر النيل الذى يسَّر سبل الاتصال بين الشمال والجنوب بالإضافة لكثرة المنتجات المعروضة .

٥ ـ الحياة الفكرية

أولاً : العمارة :

العمارة خير شاهد على مدى ما وصلتْ إليه الحضارة المصرية من رقى وإبداع شدّ أنظار العالم إلى مبتكرات قدماء المصريين ، فحب المصرى لحياة الخلود جعله يهتم بإنشاء هذه الصروح ، التى صمدت للدهر عبر آلاف السنين . وقد كان من أبرز الإنجازات المعمارية فى عهد قدماء المصريين : الأهرامات ، المعابد ، المقابر .

١ ـ الأهرامات :

فلسفة الأهرامات عند قدماء المصريين ، ليست مجرد أماكن للدفن فقط ، وإنما كانت رمزًا لأشياء كثيرة . فأول هرم بُنى مثلاً ، وهو هرم زوسر المدرج كانت فلسفة بنائه تدور حول فكرة السمو والرفعة عن الآخرين ، حيث إن رفات الملك لابدَّ أن يكون فى مكان أسْمى من مثيلاته . أما الهرم الأكبر ففلسفته هى الاحتواء والإشراف على كل أنحاء مصر . هذه هى الأهرام من الناحية الفلسفية ، أما من الناحية المعمارية البحتة فهناك طرز للأهرامات منها :

(أ) هرم زوسر المدرج :

يقع هذا الهرم فى منطقة سقارة ، وهو مبنى مكوَّن من ست مصاطب ، ارتفاع كل مصطبة عشرة أمتار ، فيكون المجمع ستين مترًا . أى : ما يعادل عمارة مكونة من عشرين طابقًا ، وقد كان هذا الهرم مغطى بطبقة من الجرانيت الأخضر والتى سقطت بفعل عوامل التعرية الهوائية .

(ب) أهرامات الجيزة :

تُعتبر أهرامات الجيزة هى قمة ما وصل إليه المصرى فى فن البناء ، وأشهرها هرم خوفو والذى بُنى على هضبة مرتفعة لكى تكون قريبة من عين شمس مقر عبادة رع ، كما كان من أسباب اختيار هذه الهضبة هو وجود محاجر كانت تؤخذ منها الأحجار اللازمة للبنيان .

وقد بنى هذا الهرم الملك خنوم خوفنى (خوفو) . وطول قاعدة الهرم ٢٢٧,٥ مترًا . وارتفاعه ١٣٧ مترًا . أما عدد الأحجار التى استُخدمت فى بنائه فكانت مليونين وثلاثمائة ألف حجر . وزن كل حجر يبلغ ٢,٥ طن . ويبلغ وزن الهرم ستة ملايين طن .

وقد كان ملحقًا بالهرم غرف للدفن ، وبه بابان فى الجهة البحرية يؤديان لغرفة الدفن ، كما كان ملحقًا بجواره معبدان وهما المعبد الجنائزى ، ومعبد الوادى ، وقد بُنى الهرم بأيدٍ مصرية خالصة . وكان ميعاد البناء دائمًا فى فترة الفيضان حيث كانت

تتوقف عملية الزراعة ، وكان يُستخدم فى رفع الأحجار الثقيلة بَكَر مصنوع من الخشب أشبه بالونش حاليًا ، كما كانت طريقة البناء تعتمد على تفريغ الهواء بين الأحجار حتى تلتصق .

وكان للهرم فوائد كثيرة غير الدفن ، فهو بمثابة دليل للقادمين إلى مصر عبر الصحراء ، كما كان يُستخدم كتحذير فى حالة الغزو الأجنبى ، ويُستخدم كمنارات للسفن فى حالة الفيضان ، حيث كانت مياه النيل تصل حتى هضبة الأهرامات ، وتبقى لنا أن نذكر أن الهرم كان محاطًا بسور كبير يُسمى الوصيد .

٢ ـ المعابد :

كانت المعابد تتكون من عدة عناصر ، وهى قدس الأقداس ، ويتألف من مبنى مربع الشكل صغير المساحة ، وله سقف خاص ، به تابوت من الجرانيت كان يحتفظ به تمثال المعبود الخاص بهم ، ويحفظ فيه أيضًا القارب الذى يُستخدم لنقل التمثال فى الأعياد ، ويتكون المعبد أيضًا من حجرات صغيرة مخصصة لعبادة الآلهة المحلية . وحجرات تُستخدم لتخزين الملابس ، وأدوات الطقوس ، كما كان يُزوَّد بأعمدة مسقوفة ، ويشمل المعبد أيضًا بحيرة مقدسة ، وبئرًا ، ومساكن لموظفى المعبد ، ومخازن للحبوب ، ويُحاط المعبد بسور كبير ، وقد انقسمت المعابد فى مصر إلى نوعين وهما :

(أ) المعابد الجنائزية :

كانت تخصص هذه المعابد لإقامة الطقوس على روح الملك الميت ، ضمانًا لحياة أخروية سعيدة له ، ومن أشهر المعابد الجنائزية معبد حتشبسوت بالدير البحرى ، غرب مدينة الأقصر . ومعبد الرامسيوم ، ومعبد هابو .

(ب) معابد الآلهة :

كانت تخصص لإقامة الطقوس العادية فى المناسبات والأعياد ، ويُسمح لعامة الشعب بزيارتها ، وتقديم القرابين . ومن أشهرها معبد الكرنك ، والذى يكاد أن يكون اشترك فى بنائه معظم الملوك المصريين ، فرمسيس بنى بهو الأعمدة ، وتحتمس بنى قاعة الأعياد ، وحتشبسوت أتحفت المعبد بمسلة .

٣ ـ المقابر :

تعتبر المقابر بالنسبة للمصريين القدماء ، هى دار الخلود ، والتى لابدّ أن تُبنى من الأحجار ، حتى تصمد للزمان ، وكان من الممكن أنْ نجد المقابر محفورة فى الصخور (وادى الملوك ، والملكات) غرب الأقصر ، وغالب مقابر الملوك عبارة عن حجرات يُحتفظ فيها بكنوز الملك المتوفى ، وتزدان بالأعمدة ، والسقف المنقوش برسوم كما ينقش على الجدران مناظر ، توضح صورة الحياة اليومية .

وفى منتصف المقبرة يوجد تابوت الملك (الناموس)، أما المقابر المختصة بعامة الشعب فهى عبارة عن حفرة عميقة مبنى جوانبها بالطوب اللبن ، وتغلف بغطاء حجرى ، ويدفن الميت فيها بوضع القرفصاء ، مع لف جسده فى حصير أو جلد .

٤ ـ المسلات :

هى عبارة عن عمود من الحجر ، لها رأس على هيئة هرم صغير ، وكانت تُنحت من أحجار الجرانيت الأحمر ، والذى يُستخرج من أسوان ، وكانت تسجل عليها أعمال الملك الذى أقامها ، وقد انتشرت المسلات أكثر فى عهد الدولة الحديثة .

ثانيًا : النحت :

كان المصريون يصنعون تماثيلهم ، من مواد خام عديدة مثل حجر الجرانيت ، الأخشاب ، وكما تعددت المادة الخام ، تعددت موضوعات النحت فهناك نحت تماثيل تمثل الملوك ، وتماثيل تمثل معبوداتهم ، كما وُجدت نقوش تمثل مظاهر الحياة اليومية .

وتتميز المنحوتات المصرية بعدة ميزات ، فالتماثيل تتميز بأنها مصممة أن لا تمثل كل تفصيلات الجسد البشرى ، كما كانت تبالغ فى إظهار الصفات ، أما المنقوشات على المقابر والمعابد فقد تميزت بالدقة فى تصوير مظاهر الحياة . وكان هناك نوعان من النقوش ، وهما النقش البارز ، وهى حفر خلفيات المناظر ، حتى يصبح النقش بارزًا فوق الخلفية . والنقش الغائر ، ويختلف عن النقش البارز ، حيث كان تُزيَّن به حوائط المبنى الخارجية .

ثالثًا : العلوم :

١ ـ الطب :

كان قدماء المصريين يعتقدون أن المرض الذى لا ينشأ عن حدث ظاهرى يمكن استخدام السحر فى علاجه ، أما الأمراض الأخرى ، فقد عرف المصريون علاجها وأوجدوا أنواعًا من العلاج لمعظم الحالات مثل طب العيون ، وطب الأسنان وغيرهما . كما كانوا يقومون بكتابة الوصفات لعلاج كثير من الأمراض ، وقد كانوا يستخدمون عقارًا مصنوعًا من كبد الحيوان ، لعلاج العشى الليلى ، ومعظم أمراض العيون .

٢ ـ التحنيط :

من الأسرار التى حيَّرتْ عقول البشرية ، هى عادة تحنيط الموتى عند قدماء المصريين ، حيث برعوا فى هذا العلم ، ودافعهم إلى ذلك هو إيمانهم بحياة البعث والخلود ، وأن الجثث لابد أنْ يُحتفظ بها سليمة ، حتى تتعرف عليها (الكا) عند انبعاث الميت .

وكانت تتم طريقة التحنيط بالآتى ، ينزع مخ الميت عن طريق الأنف بخطاف ، ثم يُشقّ جانب الميت ، وتخرج أحشاؤه ، ثم يصب زيت النخيل والمساحيق العطرية فى بطنه ، مع استخدام المر المطحون ، ثم تنقع الجثة فى محلول ملح النطرون ، لكى يتم امتصاص المياه ، ثم تُلفّ الجثة بأشرطة من الشاش وتلصق بالصمغ .

ويبدأ بلف الأصابع أولاً . ثم بقية الجسم وتُطلى بالصمغ لكى تلتصق الأربطة ، كما يتم وضع التمائم بين الأربطة ، وكانت هذه التمائم عبارة عن عيون حجرية توضع على الجفون ، وأغطية ذهب للأصابع .

وكان التحنيط ينقسم حسب تكاليفه إلى تحنيط (أوزوريس) وهو أغلى الأنواع ثم تحنيط بدون تكاليف عالية (متوسط) وتحنيط رخيص ، وكان المحنِّطون يُسمون أنفسهم (محنطو أنوبيس) والكهنة المرتلين .

٣ ـ الكيمياء :

ارتبطت الكيمياء عند المصريين ، بعلم السحر . ولذلك سُميت كيمياء ، لأن أصل الكلمة هى (كيميت) ، ومعناها الأرض السوداء ، وهو الوصف الذى كانت تسمّى به مصر ، بسبب فيضان نهر النيل ، والذى يحيل الأرض إلى اللون الأسود .

وقد استخدم المصريون ، الكيمياء فى صنع الأصباغ ، وتجهيز مواد التحنيط ، وأيضًا فى تثبيت الألوان ، واستخدموها أيضًا فى صناعة المعادن .

٤ ـ الفلك :

أول مَنْ عمل بالفلك هم كهنة هليوبوليس (عين شمس) ، والسبب الداعى لذلك هو عبادتهم للشمس (رع) ، جعلتهم يهتمون بهذا العلم ، وقد كانت أبرز إنجازاتهم الفلكية معرفة الكثير من النجوم ، كما توصلوا لوضع تقويم سنوى ، وقسَّموا السنة إلى شهور ، وأيام .

٥ ـ العلوم الرياضية :

عرف المصريون ، أنواع العلوم الرياضية مثل علم الحساب ، والذى كان الداعى لمعرفته هو رغبتهم فى تقدير الضرائب ، ورغبتهم فى معرفة مقاييس النيل ، وقد توصل المصريون لمعرفة الأعداد ، ومعرفة القيمة المكانية للعدد ، وأيضًا عمليات الجمع ، والضرب ، والطرح ، والقسمة .

كما برعوا فى علم الهندسة . وأبرز إنجازاتهم فيها هى معرفة قياس مساحة الدائرة ، كما عرفوا مساحة المستطيل ، وعرفوا مساحة المثلث المتحد مع المستطيل ، وتوصَّلوا لمعرفة مساحة شبه المنحرف .

٦ ـ الحياة الاجتماعية

تركت لنا النقوش الفرعونية ، سواء التى على جدران المقابر أو المعابد سجلاً حيًّا لحياة المصريين الاجتماعية ، مما ترك مجالاً واسعًا للبحث فى مناحى الحياة الاجتماعية فى مصر .. ومن أهم هذه المناحى :

١ ـ المنازل :

المنازل فى مصر الفرعونية ، كانت تُعتبر بمثابة بيوت مؤقتة للحياة الدنيا ، ولذلك لم يُعتن ببنيانها ، على عكس المقابر ، فقد كانت المنازل تبنى من الطوب اللبن ، ولذلك لم تصمد طويلاً أمام الزمن ، كما كانت تُصنع من أعواد البوص (الأكواخ) والخشب ، وقد كانت تُهدم ، ثم يُعاد بناؤها ثانية فى فترة الفيضان ، وبعد انتهائه .

وتصميم المنزل الفرعونى بسيط ، وهو عبارة عن دور أرضى بالنسبة للفقراء مكوَّن من حجرة ، أو حجرتين ، ثم صوامع لتخزين الغلال ، وفناء واسع . أما بيوت الأغنياء فتتكوَّن من طابقين على الأكثر ، ومزودة بشرفة شمالية لاستقبال نسمات الهواء الباردة (رياح مصر معظمها شمالية) ويتكون الدور الأرضى من مخازن . كما يُحاط بحديقة من أشجار النخيل ، وأشجار الجميز .

أما البيت فينقسم إلى قسم عام ، وقسم خاص . فالقسم العام به قاعة استقبال ذات أعمدة ، مزودة بمقاعد للجلوس . والقسم الخاص عبارة عن حجرات مُخصَّصة للنساء ، وتكون غالبًا فى الدور فوق الأرضى ، أما بقية ملحقات البيت من مطبخ ، وحجرات الخدم ، والمخازن والحظائر ، فكانت فى الحديقة .

٢ ـ الأثاث :

كان الأثاث المصرى القديم يتكوَّن من أسِرَّة تُستخدم للنوم ، ويتكون من مناضد صغيرة ، ومقاعد ، وصناديق لحفظ الملابس ، والمجوهرات والأطباق . أما أثاث المطبخ فيتكون من أفران من الطين - كانت تستخدم فى الريف المصرى ، لفترة قريبة - وجِرَار لحفظ النبيذ، والزيت، كما توجد مجموعة من الجرار لحفظ الماء البارد.

٣ ـ الأوانى :

استخدم الإنسان المصرى القديم ، العديد من الأوانى والتى يمكن إجمالها فى الأطباق الكبيرة ، وقوارير الجعة (البيرة) والكؤوس ، والأباريق ، وزجاجات حفظ الكحل ، وكانت معظم هذه الآنية تُصنع من الفخار ، أما أوانى المعبد فكانت تصنع من المرمر ، أو الخزف . وكان يوجد منها نوع يُصدَّر للخارج .

طبقات المجتمع فى مصر القديمة :

كان المجتمع المصرى مجتمعًا طبقيًا يتركب من طبقة عليا ، يأتى على رأسها فرعون ، وحكام الأقاليم ، والوزير . وطبقة دنيا مكوّنة من عامة الشعب من العمال ، والفلاحين . وقد حدثت تغيرات فى التركيبة الطبقية للمجتمع المصرى فى عهد الدولة الوسطى . حيث ظهرتْ الطبقة الوسطى والتى تكوَّنت من طائفة الموظفين والكتبة ، والذين كانوا بدورهم يورثون حرفهم ووظائفهم لأولادهم من بعدهم .

وسائل الترفيه والتسلية :

تعددت وسائل الترفيه والتسلية فى مصر الفرعونية ، فقد كانوا يمارسون الرياضة ، ويستمعون للموسيقى ، ويقومون بالرقص ، كما أن الأطفال أيضًا كان لهم نصيب فى التسلية والترفيه ، وسنعرض لكل نوع من هذه الأنواع :

١ ـ الألعاب الرياضية :

عرف المصرى الرياضة ومارسها ، فقد مارس لعبة التحطيب ، ولعبة المصارعة. ولعبة الجمباز . ومارس رياضة مشهورة وهى رياضة شَدِّ الحبل . ومعظم هذه الرياضات مازالت تمارس حتى الآن ، وقد كانت مباريات المصارعة تشهد مشاركة الأجانب الموجودين فى مصر لهذه اللعبة مع المصريين .

٢ ـ الأغانى والموسيقى :

عرف المصريون من الأغانى نوعين ، وهما الغناء الفردى (الصولو) والغناء الجماعى (الكورس) . وكانت الأغانى فى مصر القديمة على نوعين : وهى غناء دينى، ويشمل ترانيم ، وغناء عام يشمل كل الفنون مثل غناء الحب والغزل ، والحماسة . وكان يصحب الغناء عادة التصفيق بالأيدى ، والتى تُستخدم لضبط الإيقاع ، وأفضل أنواع الغناء هو غناء العمل أثناء تأدية عملهم . ومازالت أغنية (هيلا - هوب) والتى تُقال حتى الآن فى حالة العمل مشهورة ومعناها (هيا إلى العمل) .

أما عن فن الموسيقى فقد ارتبط بالغناء ، وعرف المصريون آلات موسيقية مثل : القيثارة ، الربابة ، والمزمار ، وآلات الإيقاع مثل الطبول ، وهناك نقش يمثل عازف

القيثارة وهو يعزف ، وكانت الحفلات الموسيقية تقام فى قصور الأغنياء وفى مواكب الأعياد .

٣ ـ لعب الأطفال :

وبالنسبة لألعاب الأطفال ، عرف المصريون لعبة النحلة الدوارة ، الشخاشيخ . وتماثيل لأنواع من الحيوانات مثل التمساح . كما عرفوا لعبة الشطرنج ، كما عرفوا ألعابًا مثل القفز ، والجمباز . كما كانت الفتيات يلعبن الكرة فى المنازل .

وهناك لعبة الأكر ، وهى قطعة من الحديد تتقاذفها الأيدى ، ومن المفروض ألاَّ تسقط على الأرض ، وقد كانت هناك لعب مشتركة بين الصغار والكبار مثل لعبة السيجة وهى تقسيم الأرض إلى مربعات ، تتكوَّن غالبًا من ستة أو تسعة مربعات ، ومن المفترض أن يتمكن الفرد من تحريك النرد ، حتى يقفل تلك المربعات .

٤ ـ الأعياد :

معظم أيام السنة فى مصر ، كانت عبارة عن أعياد ، وانقسمت الأعياد إلى أعياد تقويمية مثل عيد رأس السنة ، وأعياد الربيع (عيد شمو) والمعروف الآن بعيد شم النسيم . كما كانت هناك أعياد ترتبط بالزراعة (عيد الحصاد) وعيد الفيضان (وفاء النيل) . كما كانت هناك أعياد ترتبط بالحكم مثل عيد جلوس الملك ، وعيد فرعون . وهذه أعياد تكاد تكون أعيادًا نمطية نجد لها مثيلاً فى معظم بلاد العالم .

أما الأعياد الخاصة ، والتى اختصت بها مصر فهى عيد الموتى وتذهب فيه الأسرة للمقابر ، وتأخذ معها طعامًا لإطعام الموتى ، كما كانت هناك أعياد سنوية لتكريم معبوداتهم مثل عيد الوادى ، عيد أوبت .

الأسرة عند الفراعنة :

كان المصرى القديم يُقدِّس الحياة الأسرية ، ويهتم بتربية أولاده ويتولى الإنفاق عليهم ، كما كانت الحياة الزوجية عند الفراعنة مشاركة بين الرجل والمرأة ، والمصرى دائمًا كان لا يحب تعدد الزوجات ، وإنما يحتفظ بزوجة واحدة ، على الرغم من أن

القوانين لم تكن تمانع فى ذلك ، بل ظلت هذه العادة وقْفًا على المصريين ، وتدل على مدى احترام الزوج لزوجته .

أما عن مركز المرأة فى مصر الفرعونية ، فقد تبوأتْ مركزًا كبيرًا ، حتى أنهم كانوا يُصوِّرون المرأة غالبًا على المعابد فى صورة شابة ، وثياب محتشمة ، كما أعطى المصرى للمرأة كافة الحقوق ، واعتبرها بمثابة شريك ، لدرجة أن معظم ملوك الفراعنة نجدهم فى النقوش إما بجوار زوجاتهم ، أو أمهاتهم ، وفى عصر الدولة الوسطى كان الرجال يُنسبون إلى أمهاتهم .

وقد عملت المرأة المصرية فى كافة المجالات ، فوجد منهن كاهنات فى المعابد ، وموسيقيات ، وصانعات للنسيج ، كما صعد نجم المرأة المصرية القديمة ووصلت للحكم (حتشبسوت ، كليوباترا ، نفرتيتى) كما أعطى المصرى للمرأة حق الإشراف على الأسرة .

الملابس والزينة :

ترتبط الملابس دائمًا بالطبقات الاجتماعية ، والوضع الاجتماعى للإنسان ، ولذلك سنجد أن الملابس قد تنوعت فى مصر القديمة بسبب تنوع الطبقات والتفاوت بين أفراد المجتمع .

كانت معظم الملابس المصرية ، تُصنع من الكتان ، بينما الجلد كان نادرًا والصوف محرمًا ، كما كان يُصبغ الكتان بألوان مثل النيلة (الزرقاء) ، وكانت معظم الملابس يتم صباغتها باللون الأبيض ، وهو اللون المحبَّب لدى المصريين .

وكانت ملابس فرعون ، يغلب عليها الزخرفة ، وتُصنع من الكتان الناعم ، المنسوج بعناية ، ويرتدى غطاء رأس مثلث الشكل ، يُسمَّى (ممس) . أما ملابس الكهنة فقد كانت تُصنع من جلود النمور ، وملابس الطبقات الشعبية تُصنع من الكتان الخشن .

وكان المصرى يرتدى فى رجليه نعلاً مصنوعًا من سيور جلدية ، تُشد إلى قدمه ، وكانت ألوان النعال تختلف حسب المركز ، والوظيفة الاجتماعية ، فنعال رجال الدين يكون لونها أبيض ، أما الملوك فكان شكل النعل مستدير القائمة إلى الخلف .

كما كانت المرأة المصرية القديمة ، تستخدم الحلى مثل العقود ، والأساور ، وتُصنع الحلى إما من الزجاج للطبقات الفقيرة ، أو من المعادن الغالية ، فالفضة والذهب بالنسبة للأغنياء ، وكانت الفضة أغلى قيمة من الذهب نظرًا لندرتها .

وبالنسبة للزينة ، فقد استخدمت أدوات للزينة مثل المرأة ، وكانت عبارة عن أقراص فولاذية أو نحاسية أو فضية مصقولة جيدًا ، وتشكل على هيئة أشكال مثل صورة امرأة جميلة ، أو عمود صغير ، كما كانت من ضمن أدوات الزينة مراود الكحل ، وهى قوارير يُحتفظ فيها بكحل لتزيين العينين .

وقد كان الاهتمام بزينة الشعر يأخذ اهتمام الرجل والمرأة ، فقد صُنعت محاليل لعلاج الصلع ، وجلدة الرأس ، كما كان معظم الرجال والنساء يرتدون الشعر المستعار (الباروكة) ، والتى تُصنع من الشعر الحقيقى ، وأحيانًا يخلطونه بالألياف ، كما كان الشعر المستعار يُصفَّف بعناية ، ويُدفن مع صاحبه فى المقبرة .

وكان الرجال فى أحيان كثيرة يُفضِّلون حلق شعورهم كلية ، والسبب فى ذلك أنهم يعتقدون أن الشمس تقويها ، ولذلك كانت تعرف جماجم المصريين من جماجم الفرس أثناء الغزو الفارسى لمصر فى عصر قمبيز من قوة الجمجمة ، فالجمجمة المصرية أشدّ صلابة ، بينما الفارسية هشة .

وكانت طريقة تصفيف شعر المرأة يتم كالآتى ، يُصفف فى عدد من الجدائل الصغيرة أو إلى عدد من الخصلات ، تسترسل على أكتافهن ، وقد اختلفت التسريحات طبقًا للعصور ، فالدولة القديمة كان يميل إلى الشعر القصير ، أما فى الدولة الحديثة فاهتموا بالشعر الطويل ، المزدان بالأشرطة ، ويصبون عليه الزيوت المعطرة .

وبالنسبة لشعر الكهنة والأطفال ، فقد كان الكهنة يحلقون رؤوسهم تمامًا ، أما الأطفال فتحلق رؤوسهم عدا جديلة تتدلى بجانب الأذن اليمنى - كانت هذه الطريقة تستخدم فى حلاقة شعر الأطفال فى الصعيد إلى منتصف السبعينيات من القرن العشرين .

الطعام والشراب :

اختلف الطعام والشراب عند المصريين طبقًا لاختلاف المستوى الاجتماعى ، فقد كان الفلاح يرضى بالقليل من الغذاء ، أما الطبقات العليا فقد كانت تتفنن فى ألوان الغذاء ، ومن أشهر ألوان الطعام عند المصريين اللحوم البقرية ، ولحم الماعز ، والضأن ، كما كانوا يأكلون الأسماك المملحة والخضراوات .

والغذاء الرئيسى الذى اعتمدت عليه كل الطبقات المصرية هو الخبز ، والذى كان يأتى على رأس الاهتمامات ، وكان يُصنع فى مصر خمسة عشر نوعًا من الخبز ، وفى الدولة الحديثة ، وصل عدد أنواع الخبز إلى أربعين نوعًا ، وقد اتخذ الخبز أشكالاً بيضاوية ، ودائرية ، ومخروطية ، ويُصنع من القمح ، والشعير والشوفان ، والعسل ، والزبد ، واللبن ، والبيض .

وكان الخبز يُسمَّى عند قدماء المصريين (تا) ولذلك يُرمز لحرف التاء برغيف الخبز ، وكان الخبز يُصنع فى المنازل ، وفى عهد الدولة الحديثة ساد استخدام الأفران العامة .

أما عن المشروب الذى كان سائدًا فى مصر القديمة ، فقد كانت الجعة (البيرة) وكانت تُصنع من عجينة من دقيق الشعير ، وتسوَّى فى النار ، بنفس طريقة الخبز ، ويُضاف إليها البلح ، وبعد أنْ تختمر يُصفَّى السائل فى قدر .

التعليم عند الفراعنة :

اهتم الفراعنة بتعليم الأطفال ، وكان التعليم يبدأ فى المنزل ، حيث كان الآباء يُعلمون أولادهم أسرار المهن ، وكافة خبرات الحياة ، ويتضح ذلك من كتب النصائح التى كانت تُكتب للأولاد .

وكانت فلسفة التعليم فى مصر القديمة ، تقوم على الأخذ بالشدة فى تعليم الأطفال ، ولذلك كانوا يقولون : إن عقل الطفل فى ظهره ، أى : لا بُدَّ أن يُضرب إذا كان يرغب فى التعليم .

أما أبناء الملوك ، والأمراء ، ومَنْ يدور فى فَلكهم ، فكانوا يعتمدون على المؤدِّبين الخاصين . ثم تحوَّل المصريون إلى إنشاء مدارس خاصة بتعليم الأطفال . ثم فُتحت مدارس خاصة بكل إدارة حكومية لتخريج الموظفين (الكتبة) . وكان الطفل يذهب للمدرسة فى سن العاشرة ، ويستمر فيها حوالى أربع سنوات تقريبًا . ولم تكُنْ الفتيات يتلقيْن تعليمهن فى المدارس ، ولذلك انتشرت الأمية بينهن بكثرة .

أما مناهج التعليم فى مصر القديمة فكان تعليم مبادئ القراءة والكتابة يأتى فى المقام الأول ، ويتعلمها الطلاب عن طريق نقل النصوص وقراءتها ، كما درس الطلاب الرياضيات ، ولكن بقدر ضئيل ، إنما الاعتماد الكلى كان على تعلُّم القراءة والكتابة .

وكان الطلبة يستخدمون نماذج من الرسائل والتقارير ليتعلموا استخدام الأساليب الصحيحة للتعبير ، كما كانت الألعاب الرياضية لا تجد لها مجالاً فى مناهج التربية عند قدماء المصريين .

نماذج لأماكن التعليم فى مصر القديمة (بيت الحياة) :

من النماذج التى كان المصريون يتلقون العلم فيها ، بيت الحياة ، وهو اسم كان يُطلق على نوع من المعاهد التعليمية ، المتصلة بالمعابد ، وكان هذا المعهد يعمل على تخريج طلاب يقومون بكتابة الطقوس الدينية ، ونسخها للعديد من النسخ .

كما كان يمارس مُوظفو بيت الحياة مهنة الطب أيضًا ، لدرجة أن معظم مبانى بيوت الحياة تحولت إلى مصحَّات لعلاج المرضى ، وكانت بيوت الحياة تحتوى على كل أصحاب المهن ذات الصلة بالتعليم ، فكان هناك الفنانون ، والكتبة الذين قاموا

بنسخ آلاف النسخ من كتاب الموتى ، والتى كانت ترافق جثث الموتى ، لتقدم لهم العون فى الحياة الأخرى ، وقد زادت هذه النسخ زيادة كبيرة فى عهد الدولة الحديثة .

ونختتم الحديث عن بيت الحياة ، بأنه كان مركزًا للتعليم الدينى ، ويعتبر بمثابة أكاديمية متخصصة ، حيث كانت تنتج الكتب ، وتنسخها بالإضافة لتلقى الطلاب العلم فيها .

* * *